

## الفصل الأول

### الدور السياسي للوزراء

- علاقة الوزراء بالسلطين.
- دور الوزراء في الحروب الداخلية والفتن والثورات.
- الوزراء والبيعة ونظام وراثة العرش
- دور الوزراء في الحروب الخارجية



## علاقة الوزراء بالسلطين الحفصيين

لقد اختلفت العلاقة بين السلطين الحفصيين ووزرائهم من حين إلى آخر ومن سلطان إلى آخر وذلك حسب قوة السلطان وضعفه، فقد تكون علاقة تعظيم واحترام وطاعة أو قد تكون علاقة مشينة يصبغها الغدر والخيانة والتمرد، ونجد انه في عهد السلطان أبى زكرياء صاحب الجاه والقوة، حيث كان مسيطراً علي وزرائه، وكانوا دائماً يخشونه فقد كان يعمل علي إصلاح أحوالهم وعزل المفسدين منه<sup>(١)</sup> فقام بالقبض علي وزيره ميمون بن موسي بسبب ثراءه الفاحش فأخذ أمواله وبعث به إلي قابس<sup>(٢)</sup> فكان الوزراء دائماً يطيعونه ولا يخرج عليه أحد وجعل أبا يحيي ابن أبى العلاء ابن جامع بدلاً من<sup>(٣)</sup> فنجد أن علاقته بوزرائه كانت قوية هنا يضرب لهم مثلاً في الأخلاق والعدل وذلك عندما لاحظ ترف وثراء وزرائه فاستدعى أحدهم يوماً، وكان وزرائه موجودين بمجلسه، وعندما دخل عليه الوزير من باب الصر<sup>(٤)</sup> ودخل علي قبة السلطان وكان السلطان جالساً علي كرسي خشبي، وبيده إبره وهو يرقع ثيابه، وكان الغداء علي مائدته نوع واحد وخبز غير نقى فأكل، فلما فرغ قال انصرف بسلام فخرج، وكان هدفه من ذلك عدم مغلاة الوزير في

(١) الزركشي: المصدر السابق: ص ٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٥.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٢٦.

(٤) كانت سياسته مع وزرائه حياه تقشف وهددهم بالعقاب إذا أنحرفوا عن سياسته، وكان هو أسوه لهم راجع العامري: تاريخ المغرب العربي، ص ١٧.

ملا بسة الفاخرة في حين أنه يجلس بثياب مرقة<sup>(١)</sup>.

وبلغت قوة السلطان أبى زكرياء الحفصي مداها عندما أقصى محمد بن محمد الجواهري صاحب الأشغال<sup>(٢)</sup> الذي وفد إلى تونس من مسيته، فأخذه السلطان وعينه صاحباً للأشغال علي جباية أهل الخيام بأفريقية لأنها غير منضبطة، وكلفه بتنظيمها، حتى أصبحت عملاً قائماً بذاته يطلق عليه "عمل العمور"، وأخذ الجواهري يقوي نفوذه، وبدأ يعمل لحسابه في جمع الأموال، وكون قوة عسكرية خاصة به، مما أثار نار الحقد بينه وبين صاحب النفوذ أبى علي بن النعمان، وأبى عبد الله بن الحسين، وكانا دائماً يحذران أبى زكرياء من حدوث ذلك ومن طموحات الجواهري ورفض السلطان أبو زكرياء حتى يتأكد بنفسه، وحدث موقفاً فغضب أبو زكرياء، وأعتبر ذلك دليلاً على نوايا الوزير الجواهري، وتأكد أكثر عندما سأله يوماً عن جمع بعض الثروات، فقال له الجواهري أنه عليك ألف من الجنود تحت أمر السلطان، ولكن أبا زكرياء لم يكن أمامه سوي القبض عليه وتقليص نفوذه وأودعه السجن في موضع القصبة<sup>(٣)</sup>، وعذبه عذاباً شديداً حتى انتحر خانقاً نفسه بعمامته، وجرت جثته خارج العاصمة ليراها الناس ويعتبروا من ذلك<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الشّاع: المصدر السابق، ص ٥٦، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٥٦، العامري: المرجع السابق، ص ١٨.

(٢) صاحب الأشغال: كان صاحب هذه الخطة بمثابة وزارة المال، وكان ابن محمد الجواهري هو أول وزير للمال. راجع الزركشي: المصدر السابق، هامش ص ٢٩.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٠، المطوي: السلطة، ص ١٥١.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٠، المطوي: السلطة، ص ١٥١.

## و خلاصة القول

أن قوة السلطان الحفصي تنعكس علي سيطرته علي وزرائه ورجال دولته، فلا يستطيع أحد منهم أن يتحكم فيه ويفرض عليه الوصايا، ولكن قوة السلطان جعلت الجميع يقدمون له الولاء والطاعة.

### الوزير ابن المهدي والثورة علي السلطان المستنصر ابن أبي زكرياء:

عندما تولي السلطان المستنصر بن أبي زكرياء أمور الدولة الحفصية استحوذ عبد الله بن أبي مهدي الذي كانت له مطامع بلغت مداها وتجاوزت حدود وظيفته من أجل السيطرة علي السلطان الحفصي الشاب الذي خضع في سياسته وإدارته لشخصيات وافدة من الأندلس، وخاصة من العلوج النصاري<sup>(١)</sup> الذين زاحموا أهل الدولة مراكزهم، فعمل ابن أبي مهدي الهتائي علي إنهاء وجودهم من الدولة الحفصية، والعمل علي إنهاء حكم المستنصر فتآمر ضده مع إبراهيم بن أبي إسحاق وأبي عبد الله محمد اللحياني الذي أدعي أن الحكم الحفصي من نصيب والده لأن أبا زكرياء الحفصي حصر ولاية العهد في أبنائه دون أن يشرك أخوته فيها، واتفق مع ابن أبي مهدي الهتائي علي تنفيذ هذا الاتفاق سرًا<sup>(٢)</sup>، ولكن سرعان ما تسرب هذا السر إلي محمد اللحياني<sup>(٣)</sup> الذي عرف ما يدور في فكر ابنه مع الوزير ابن أبي مهدي، وخشي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٣، يوسف فهمي الجزائري: الجزائر أرض البطولة، ص ٣٢٨-٣٢٩، المطوي: السلطنة، ص ١٧٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧، المطوي: السلطنة، ص ١٧٦، العامري: تاريخ المغرب، ص ٨٠.

(٣) محمد اللحياني: هو أبي يحيى زكريا ابن أبي العباس أحمد بن عبد الله محمد اللحياني بن أبي

من حدوث فتنة ربما تؤدي إلى نهاية الدولة الحفصية، فذهب إلى السلطان المستنصر، وحذره بما ينوي أن يقوم به ابنه والوزير ابن أبي مهدي وأكد صحة وصدق هذا الكلام<sup>(١)</sup> القاضي أبو زيد التوزي.

وبدأت أحداث الثورة يوم (العشرين من جمادي سنة ٦٤٨ هـ / سبتمبر ١٢٥٠ م) عندما قبض الوزير ابن أبي مهدي علي الوزير أبي زيد بن جامع، وخرج مع مشيخة الموحدين لمبايعة محمد اللحياني، وكان علي المستنصر الرد بشدة علي هذه الثورة حتى لا يفقد ملكه، فاستعد أشد استعداد هو وجنوده من العلوج<sup>(٢)</sup>، وجعل العليج ظافر علي رأس جيشه، والتقي الجمعان بالمصلي خارج باب المنارة، واستطاع القائد ظافر من تحقيق النصر علي ابن أبي مهدي الهتائي ومن معه من الموحدين، وزحف القائد ظافر إلي دار محمد اللحياني، وقتل الثائر بل وصل الأمر إلي التخلص من والده الذي كان معارضا لابنه وثورته، وبالف القائد ظافر في الانتقام والقتل من مشايخ الحفصيين بنهب الأموال وهدم الديار مما أثار أعجاب المستنصر بتلك الأعمال الوحشية في حق أهله فقام بتقديم الهدايا والعطايا للجنود والقواد علي ذلك، وقدم القائد ظافر رؤوس الثائرين مع رأس عمه محمد اللحياني<sup>(٣)</sup> وأيضا رأس أخاه أبي إبراهيم ابن الشيخ ابن محمد بن

---

محمد عبدالواحد بن أبي حفص ولد سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م، أمة أصلها رومية اسمها محرم راجع ابن الشعاع: المصدر السابق ص ٦٢، و ٨٥ هامش ٦

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧، المطوي: السلطنة، ص ١٧٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٦٢٧ - ٦٢٨، المطوي: السلطنة، ص ١٧٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٣،

المطوي: السلطنة، ص ١٧٧، ابن الشعاع، المصدر السابق، ص ٦٤.

الشيخ أبي حفص واستصفت أمواهم ولم يبق منها شيء<sup>(١)</sup>.

### الوزير عبد الله ابن أبي الحسين وعلاقته بالسلطان المستنصر:

بعد مقتل الوزير ابن أبي مهدي أثناء الحروب التي قامت بين جيش المستنصر بقيادة القائد ظافر وجيش الثائرين عليه ابن أبي مهدي وابن عمه ابن أبي محمد الليحاني<sup>(٢)</sup>، عين السلطان المستنصر ابن أبي الحسين<sup>(\*)</sup> في الوزارة<sup>(٣)</sup>، فأدرك خطورة تفاقم وتعاضم دور القائد ظافر الذي أخذ نفوذه يسيطر علي شئون الحكم، فأوغر صدر السلطان المستنصر علي قائده ظافر بالتعاون مع عليج آخر اسمه هلال حتى يصبح مسيطرين علي السلطان. وعندما ترامت هذه الأخبار إلي مسامع القائد ظافر فر هارباً عند قبائل الذواودة في جنوب المغرب الأقصى، واستطاع الوزير محمد بن أبي الحسين من السيطرة علي السلطان الحفصي ولكن بعد موقعة اللحياني والوزير ابن أبي مهدي وهروب القائد ظافر<sup>(٤)</sup> فنكره السلطان، عندما سعي أعداؤه داخل الدولة لإثارة السلطان ضده

(١) العامري: تاريخ المغرب العربي، ص ٨٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٧٧، ١٧٩.

(\*) هو محمد بن أبي الحسين: يرجع أصل هذا الوزير من بني سعيد رؤساء القلعة المجاورة لغرناطة، وكان كثير منهم قد أستعملوا أيام الموحيدين بالعدوتين، وكان جدة أبو الحسن سعيد صاحب الأشغال بالقيروان ونشأ هذا الوزير في نعالة جدة، ولما عزل وهلك ببونة سنة (٦٠٤هـ) ورجع حفيده هذا إلي تونس واتصل بالأمير أبا زكريا، واستبد وسيطر عليه، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٢ - ٦٧٤، المطوي: السلطنة، ص ١٧٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٨، المطوي: السلطنة، ص ١٧٨.

(٤) ابن خلدون: المصدر السابق، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٨ - ٦٢٩، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٧٨.

حينما أشاعوا مداخلته لأبي القاسم بن فخذومه أبي زيد بن الشيخ أبي محمد، واعتقله السلطان بداره تسعة أشهر، ثم سرحه وأعادته إلى مكانه، وثأر من أعدائه، واستولي على أمور السلطان، مرة أخرى إلى أن توفي سنة أحدي وسبعين وستائة.

وشهدت الدولة الحفصية انحطاطاً سياسياً بعد وفاة أبي زكرياء الأول والمستنصر وذلك بسبب ضعف السلاطين وسيطرة الوزراء<sup>(\*\*)</sup>. واستمر مسلسل السلاطين الضعاف الخاضعين لنفوذ الوزراء ورجال الدولة الأقوياء، حيث سيطر الوزير أبو عثمان سعيد بن أبي يوسف بن أبي الحسين ووزير الأشغال علي السلطان الواصل بن المستنصر، وتبادل الوزير أبو عثمان<sup>(١)</sup> والوزير عبد الملك الغافقي<sup>(٢)</sup> المكني بأبي الحسين من أجل السيطرة علي السلطان الذي أصبح العوبة في أيديهم، وتطلع كل منهما للسيطرة علي شئون الدولة، وكان الوزير أبو عثمان هو صاحب الكلمة<sup>(٣)</sup> مما أثار حفيظة الغافقي الذي كان شغله

(\*\*) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٦.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٧٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٢.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٢٣٤، الغريب في هذا الصراع هو أن عبد المالك الغافقي كان يعمل في خدمة الوزير أبي عثمان بعد قدومه من الأندلس ولكن عندما تولى ديوان إنشاء في حياة السلطان المستنصر وتوثقت علاقاته مع السلطان حتى سعي إلي التخلص منه، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن الشماخ: المرجع السابق، ص ٧٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٢.

الشغل بأمور الفخامة والثراء وأنواع الملابس واقتناء الذخائر<sup>(١)</sup> ولكنه عمل علي التخلص من الوزير أبي عثمان بعدما أصبح السلطان الواثق في يديه كالمحجور<sup>(٢)</sup> وغلبه علي أمره<sup>(٣)</sup> وسعي لافتعال الدسائس والوقعة بين السلطان والوزير أبي عثمان، حتى اقتنع السلطان بالاستيلاء علي أموال الوزير والتخلص منه وعزله من الوزارة واعتقله بالقصبة وعين لامتحانه ومصادرة أمواله عبد الرحمن بن أبي علام، وبعد ستة أشهر من التعذيب توفي سعيد بن أبي الحسين في ذي الحجة من عام (٦٧٦هـ) بعد أن صودرت أمواله التي تقدر بستمائة ألف دينار غير الأثاث والمتاع الآخر<sup>(\*\*) (٤)</sup>، ودفن جسده بحيث لم يعرف مكانه أحد، وأصبح الغافقي هو المتحكم الوحيد في السلطان والدولة، لدرجة أنه عين وزيراً آخر للأشغال من العلوج يسمى مدافع، وبالغ في إذلال الناس والاستبداد بالوزراء الحجاب<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، ابن الشعاع: المصدر السابق، ص ٧٥، المطوي: السلطنة، ص ٣٢.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣.

(٣) ابن الشعاع: المصدر السابق، ص ٧٤، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(\*\*) قام أبو زيد بن أبي علام بامتحان الوزير أبي عثمان وظل يستخرج منه حتى أدي الإملاق وحلفه محلف ثم ضرب، فذكر لهم أسماء قوم عندهم أمواله استكشفوا منه فادوه ثم دل بعض مواليه علي ذخيرة بدارة قدوتها فأستخرج منها فيه المبلغ المذكور، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٨.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٧ - ٦٧٨.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٨.

وبالغ الوزير الغافقي في الاستبداد بالسلطان الواثق وأصبح هو صاحب الكلمة في الدولة الحفصية حيث أصبح يولي من يشاء ويعزل من يشاء والسلطان لا يحرك ساكناً، فقام بتقليد أخيه إدريس ولاية الأشغال بجاية، فقام بها وكان شغله الشاغل جمع الأموال، وتحكم في كبار رجال الدولة بها<sup>(١)</sup> وأساء معاملته أهلها<sup>(٢)</sup> ولم يقبل محمد بن أبي هلال استبداد إدريس عليه وأظهر سخطه وتبرمه، فهم إدريس للتخلص منه<sup>(٣)</sup>، مع جماعة من جند بجاية<sup>(٤)</sup> فبادر والي المدينة محمد بن أبي هلال لقتله بعد أن استعان ببعض بطانته<sup>(٥)</sup> وبرجالاً من عامة البلد<sup>(٦)</sup> ودخلوا عليه بموقع شغله فقتلوه في ذي القعدة عام ٦٧٧هـ<sup>(٧)</sup> وألقوا برأسه إلى الغوغاء فعبثوا به<sup>(٨)</sup> وكان ذلك موافقاً قدوم السلطان أبي إسحاق من الأندلس لتولي حكم تونس فقام ابن أبي هلال وأهل بجاية بمخاطبته ومبايعته، وبعثوا إليه بوفود يستحثونه للقدوم للملك فأجابهم بعد مبايعة العامة له، فاستولي علي قسطنطينية فأمتنعت عليه فتركها

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٢.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٦.

(٦) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٦.

(٧) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٦.

الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٢، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣.

(٨) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٩.

ولما بلغ الخبر إلى الوزير المستبد ابن الجبر وسلطانه المغلوب علي أمره وعرفوا بما حدث، قرروا محاربته، فأرسلوا إليه جيشا بقيادة عم السلطان الواثق أبي حفص واستوزر له أبا زيد بن جامع، وحاول الوزير ابن الجبر الوقيعة بين أبي حفص ووزيره ولكنها فطنا لذلك، واتفقا علي الدعاء للسلطان أبي إسحاق وبعثوا له بذلك.

وعندما علم السلطان الواثق بذلك، تخلي عن الملك لعمه السلطان أبي إسحاق غرة ربيع الأول عام ٦٧٨ هـ أمام عامة دولته وخاصته، وعلي الفور تحرك السلطان أبو إسحاق إلى تونس، ودخل الحضرة منتصف ربيع الآخر عام ٦٧٨ هـ، فقبض علي الوزير المستبد، وأمر باعتقاله وجعل له موسي بن محمد بن ياسين لامتحان ومصادرة أمواله كما فعل ابن الجبر مع خصمه السابق الوزير سعيد بن أبي الحسين، فنجد تشابه كاملا في طريقه مقتل كل منهما وكذلك فعل السلطان أبو إسحاق وزيره وحاجبه الخاص ابن سيد الناس، وذلك بسبب قربه من السلطان وولي العهد أبي فارس عبد العزيز، كما فعل باقي الوزراء (بطانة السلطان) فحسدوه علي هذا المكان وقرروا التخلص منه قبل أن يتولي ولي العهد الحكم فيحول بينهم وبين السلطان الجديد، فوشى أولئك الوزراء إلي السلطان بمحاولة أحمد بن سيد الناس وولي العهد لقلب نظام الدولة، فأثروا علي السلطان تأثيراً شديداً وخوفوه من ذلك<sup>(١)</sup> فبادر السلطان أبو إسحاق إبراهيم باستدعائه إلي رأس الطابية، فأتي إليه مسرعاً، فخرج إليه رجاله بالسيوف، فأيقن الموت فاستشهد وقتل على حالته وحفرت له حفرة

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٤، المطوي: السلطنة، ص ٢٤٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٠.

ورمي فيها<sup>(١)</sup>.

وهذا يدل علي مدى ضعف السلطان في اتخاذ قراراته بنفسه بسبب بعده عن الأحداث وخلوده للذاته وشهواته وانصرافه إلي ذاته وترك الأمور بيد وزرائه وأبنائه<sup>(٢)</sup>، فاستولت الأعراب علي القرى والمنازل ونهبوا الأموال والحريم وقلت المجابي وكثر الإقراع والإتعاق<sup>(٣)</sup>.

وكانت علاقة السلطان ابن أبي عمارة مع وزرائه علاقة يشوبها الحذر والخوف من الانقلاب عليه، وكان لشدته يفر الناس منه، فألقي القبض علي وزيره موسي بن ياسين الذي ساعده كثيراً في الاستيلاء علي الحكم وأعدمه مع بعض الشخصيات البارزة في دولته<sup>(٤)</sup> وتخلي وزرائه عنه بعد ذلك أثناء حروبه مع السلطان الجديد عمر الحفصي مثلما فعلوا من قبل مع السلطان الحفصي أبي إسحاق<sup>(٥)</sup>.

وهناك من السلاطين من قتل وزراء آخرين، علي الرغم من مساعدتهم له في إعتلاء العرش، مما جعل نار الحقد والغيرة تدب بين وزرائه، وهذا ما حدث من السلطان عمر الحفصي الذي كان يفضل وزيره الفازازي<sup>(٦)</sup> والقائد العسكري المقتدر الواعي الذي كان يحفظ النظام في الأقاليم ومقاومة الأعداء

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٢.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٩.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٠، ابن خلدون: العبر، مج ١٢، ج ١٢، ص ٦٩٦.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

في الخارج<sup>(١)</sup> ومعه أبى الحسن بن أبى بكر بن سيد الناس، وموحد بن أبى بكر بن خلدون، ولكن ابن سيد الناس لم ترق له سياسة السلطان في التمييز بينهما، فقرر ترك منصبه في حاشية السلطان عمر الحفصي، وتوجه إلى تلمسان، للبحث عن مكانة وحظوة أعلى لدى سلطان حفصى جديد وهو أبو زكرياء بن إبراهيم الطموح<sup>(٢)</sup>، يدعو به إلى المطالبة بملك بني حفص لأنه أولي بذلك من عمه، فأستجاب الأمير اللاجئ لتحريضه وإغرائه، وبدأ التحرك إلى تونس، فاقترض الأموال من تجار بجاية لإعداد حملته وعاش أبهة الملك واصطنع الأولياء وجمع الرجال<sup>(٣)</sup> وهنا تحول الوزير من مساند للسلطان إلى محالف لخصمه وذلك من أجل النفوذ والمناصب، علي العكس ظل الوزير الأكبر الفازازي يحمل الجميل لدى السلطان الحفصي في كل شيء، بسبب ما اتسم به هذا الوزير من شجاعة في القتال والدفاع عن السلطان حتى توفي بعدما قمع ثورة بلاد الجريد، وهو في طريق عودته في ذي القعدة ٦٩٣ هـ ودفن برادس<sup>(٤)</sup>، وترك موته فراغاً كبيراً لدى السلطان أبى عمر الحفصي<sup>(٥)</sup>.

وفي عهد السلطان أبى عصيدة (٦٩٤ هـ - ٧٩ هـ / ١٢٩٥ م - ١٣١٨ م) سيطر الوزير الأكبر ابن اللحياني علي أبى عصيدة وجعله أيضاً يرفض الصلح

(١) برنشفيك: المصدر السابق، ج ١، ص ١٢١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩ - ١٤٦ Mas. latr. op cit p.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

Mas. latr. op cit p. ١٤٦.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠.

(٥) المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠.

مع سلطان بجاية<sup>(١)</sup> وأبرم المعاهدات بنفسه مع الدول الأوروبية<sup>(٢)</sup> وبلغت سيطرة الوزير ابن اللحياني علي السلطان الطفل الضعيف أن سلطان بني مرين<sup>(٣)</sup> كان يعتبره أولي بالمراسلة من السلطان أبي عصيدة نفسه<sup>(٤)</sup> وبالغ في استبداده بالسلطان عندما تخلي عن سلطانه وفضل الهروب من الأوضاع السيئة في الدولة وواصل الاستبداد لدرجة أنه عين أبا يعقوب بن يزديين بدلاً منه كبيراً للوزراء عندما هرب بحجة تأدية فريضة الحج<sup>(٥)</sup>.

وبعد وفاة السلطان أبي عصيدة اشتد الوزراء في التنافس فيما بينهم من أجل السيطرة علي السلطان المعتوه أبي بكر عبد الرحمن<sup>(٦)</sup> الذي جعل ابن ازرقان وزيراً علي قيادة الجيش وجعل ابن الدباغ وزيراً للقلم وحاجباً ولعب الوزيران دورهما من أجل أخذ السلطة<sup>(٧)</sup> والسيطرة علي هذا السلطان وهذا يدل علي ما وصل إليه الوزراء من إستبداد والسلطان من ضعف فهو لم يخرج لمحاربة أبي البقاء خالد بل خرج وزيره ابن أذرقان بالجيش، واستمر هذا الوزير يحارب جيوش أبي البقاء خالد يوماً كاملاً مدافعاً عن العاصمة وسلطانه الضعيف ولكنه قُتل ومثل الأعراب بجثته وحرقوها<sup>(٨)</sup>. وهنا نجد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٠، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٥.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨١٤٨. Mas latrie: op cit p.

(٣) كان سلطان بنو مرين هو السلطان أبو يوسف بن يعقوب المريني.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٥، والمطوي: السلطنة، ص ٢٩٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣١.

(٦) المطوي: السلطنة، ص ٣٠٧.

(٧) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٨) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤.

أن الوزير لم يهرب من السلطان الضعيف ولكنه استمات في الدفاع ومحاربة الجيش الغازي وذلك ليس من أجل السلطان ولكن من أجل نفسه والمحافظة على منصبه.

### ابن غمر وسيطرته على السلطان أبي بكر الحفصى فى بجاية:

كانت شخصية الوزير الحاجب ابن غمر تفرض نفسها على السلطان أبى بكر الحفصى فى بجاية، حيث ازدادت سطوته واستبداده بالسلطان أبى بكر وسيطر على جميع مقاليد الحكم، وكان صاحب النفوذ الأول<sup>(١)</sup> وإن زمام الحكم وسلطانه الضعيف الجالس عليه تحت قبضة يده وسلطانه لا يحرك ساكنًا<sup>(٢)</sup> فقام ابن غمر بإبعاد الشخصيات التى سيطرت على سلطانه أثناء غيابه، فبدأ يوغر صدر السلطان عليهم ويحذره من استبداد حسن بن إبراهيم بن ثابت واستقلاله بقسطنطينية<sup>(٣)</sup> وبالع في ذلك الاستبداد لدرجة انه سيطر على جميع قرارات سلطانه الذى أدرك أنه ليس له حيلة ولا قوة مع ذلك الوزير القوى المحنك، فتعرض لمؤمرات ولكنه كشفها ونكل وعذب القائمين عليها من الأهالى<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق: مج ٦، ج ١١٢، ص ٧٢٤.

(٢) نفس المصدر السابق: مج ٦، ص ١٢، ص ٧٢٤-٧٢٦، ٧٢٦.

(٣) المصدر السابق: ص ٦، ص ١١٢، ص ٧٢٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٧، المطوى: السلطنة، ص ٣٢٣، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٦١، ١٦٢ وعندما استولى السلطان أبو بكر الحفصى على العاصمة تونس استمر ضعفه وسيطره حاجبه الوزير ابن غمر عليه، فظل الوزير الحاجب مستبدًا ببجاية ملتقيًا بذكر اسم السلطان الحفصى فى الخطبه ولكن ضرب اسمه على السكه دون ان

واستمر ضعف السلاطين واستمر معه سيطره الوزراء عليهم حيث كان ابن اللحياني يناهز السبعين من عمره، مسلماً لا يتصف بالحزم مع الاوضاع التي كانت تعيشها البلاد<sup>(١)</sup> ولم يستطع الاستمرار في السلطه وعندما علم بتحرك سلطان قسطنطينة وبجايه أبى بكر الحفصى فهرب من المواجهة الى قابس<sup>(٢)</sup> وترك بها بعض وزرائه الذين أخرجوا ابنه محمد أباً ضربه من سجن القاضي ابن عبدالرفيع<sup>(٣)</sup> وسيطر عليه الوزراء وعلى الاموال والجيش وجميع الأمور الإدارية<sup>(٤)</sup> وظل الوزراء والحجاب مسيطرين على سلاطينهم طيلة هذه الفتره بسبب شدة ضعف السلاطين وصغر سنهم وقلة خبرتهم العسكرية والصراع بينهم على الحكم وظهور أكثر من سلطان<sup>(٥)</sup> حتى جاء الغزو المرينى لتونس بقياده السلطان أبى عنان المرينى<sup>(٦)</sup>.

يقدر سلطانه على عزله من منصبه. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٦ - ٧٤٧.

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٢

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٩، الزركشى: المصدر السابق، ص؛ ابن القنفذ: الفارسية، ص ٩٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٠؛ المطوى: السلطنة، ص ٣٢٧

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٠.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص؛ السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٤؛ مقديش: نزهة القطار، م ١، ص ٥٢٦؛ القلقشندى: صبح الأعشى: ج ٥، ص ١٢٦، الزركشى، المصدر السابق، ص ٧٧-٨٧.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٥، الزركشى: المصدر السابق، ص ٨٢؛ مقديش: نزهة القطار، م ١، ص ٥٢٧، عاشور أبو شامه: المرجع السابق، ص ١٩٤؛ إبراهيم بركات: المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٣٩

واستمر الوزراء في الاستبداد بالسلطين الصغار الضعاف الذين لا يملكون القرار حيث سيطر الوزيران العبد المعتق منصور<sup>(١)</sup> وابن المالح على السلطان أبى اسحاق الذى خضع تمامًا للوزيرين الذين استبدوا بجميع شئون البلاد حسب هواهما دون رادع لهما من أحد<sup>(٢)</sup> بعد ان خلاهم الامر بعدما أوقعوا بين الوزير الحاجب محمد بن تافراجين (الابن) وبين السلطان أبى اسحاق بسبب تخطى السلطان لسلطة محمد بن تافراجين واتصاله بجباة الاموال والقبائل مباشرة دون الرجوع الى الوزير الحاجب<sup>(٣)</sup> فعمل الوزيران العليج منصور وابن المالح على توسيع شقة الخلاف بين السلطان ومحمد بن تافراجين الذى لم يجد مخرج سوى الهرب من سلطانه ووزرائه المستبدين به فهرب الى السلطان أبى العباس أحمد المنافس لأبى إسحاق إبراهيم وذلك من أجل أن يمارس نفوذه وسيطرته على السلطان أبى العباس أحمد والسلطة الحفصية عند الاستيلاء على تونس<sup>(٤)</sup> ولم يفكر في الهرب فقط بل عمل على إثارة قبائل أولاد مهلهل واستمالتهم إلى جانب السلطان أبى العباس أحمد وعملوا على تحريضه للاستيلاء على تونس<sup>(٥)</sup> وعلى قلد السلطان أبى العباس أحمد محمد بن تافراجين قيادة جيوشه لحصار العاصمة تونس

(١) وهنا نجد ما وصلت اليه الدولة الحفصية من ضعف وانحيار بين جعل عبدًا من العلوج بتولى اكبر المناصب في دوله اسلامية كبرى وهو منصب الوزير، بل اصبح هو المتصرف والمتحكم في شئون البلاد.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧.

(٤) المطوى: السلطنة: ص ٤٧٠.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٥.

والاستيلاء عليها<sup>(١)</sup>.

وعندما توفي أبو إسحاق إبراهيم فجأة في العشرين من رجب ٧٧٠ هـ / فبراير ١٣٦٩ م، قام الوزيران العليج المعتق منصور والحاجب الوزير أحمد بن إبراهيم بن المالقي بتعيين ومبايعة الطفل الصغير أبي البقاء خالد للسلطة الحفصية واستمروا في الاستبداد به، واستطاعا إحكام القبضة على البلاد، ولم يكن لهذا السلطان الطفل أى دور يذكر بل كانت الأحداث كلها بيد هذين الوزيران<sup>(٢)</sup> وأخذ الوزيران يسريان شئون البلاد حسب هواهما<sup>(٣)</sup> وقتلا كل من يحاول منافستهم في الحكم ويقاسمهما السلطة والنفوذ والسيطرة على السلطان الطفل فقتلوا القاضى محمد بن خلف الله لخلافات قديمة كانت بينهم بعد أن وضع في السجن مع محمد بن رافع وأحكموا مؤامرة من أجل القضاء عليه، حيث أرسلوا لهما في سجنهما من يساعدهما على الهرب ثم قبضوا عليهما.

وأمر الوزير ابن المالقي بقتلها خنقاً وطوى آخر صفحاتهما من التاريخ<sup>(٤)</sup> ولم يترك الوزيران للسلطان الضعيف الطفل شيئاً من الحكم<sup>(٥)</sup> فنهبا الأموال

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٣، المطوى: السلطنة، ص ٤٧١

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٧، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٣.

(٣) المطوى: السلطنة، ص ٤٧٣.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٥، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٣.

(٥) ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٢.

وسيطرا على البلاد فضعت هيبة السلطان الحفصي<sup>(١)</sup> ومن شدة سيطرتها على السلطان الضعيف أفسدا علاقات الدولة مع قبائل الكعوب وزعيمهم منصور بن حمزة بعد أن وعداه بالمشاركة والسيطرة على السلطان والبلاد ولكنهما خدعا بعد أن استقرت لهما الأمور فسخط عليهم فارتحل هو وقومه عن حماية العاصمة وتوجهوا الى أبي العباس أحمد صاحب قسنطينة وحرصوه على غزو تونس واعتلاء عرش أجداده<sup>(٢)</sup>.

وعندما استولى السلطان أبو العباس أحمد على تونس بعد الحصار واقتحامها<sup>(٣)</sup> تخلص من الوزراء المفسدين المستبدين بالسلطان الطفل وقام بإعادة الهدوء والأمن والأمان والطمأنينة، وأخذ الفتنة بالدولة الحفصية وهذا من روعة وغضب الناس ودخل إلى قصره وحكم الدولة الحفصية بعد الاضطرابات وسيطرة واستبداد الوزراء<sup>(٤)</sup> وكان السلطان أبو العباس قد بلغ سن الأربعين عند دخوله تونس وقد تفرس على الحكم والإدارة مدة طويلة ساعدته للقيام بدور فعال في الحكم الحفصي واعتماده على رجال دولته الوافدين معه من غرب الدولة الحفصية، وقدم لخدمته الوزير أبا اسحاق إبراهيم الهنتاتي، وشقيقه الشيخ الرئيس أبا عبدالله محمد وزير الانشاء الذي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٥، ابن أبي دينار: المصدر السابق ص ١٧٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٥، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٥

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١٢، ص ٨٦٧، الزركشي: المصدر السابق، ص

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠٦.

كان قائماً بالقصبة وتخلص من القاتل أبي زكرياء بن وجاد الكومي القسطنطيني<sup>(١)</sup>.

وعقد على الحجابة للوزير الحاجب أبي يحيى زكرياء واليه على عنايه وكان قائداً للجيش وكانت علاقته بالسلطان أبي العباس أحمد قوية<sup>(٢)</sup> ولكن السلطان لم ينس دور ابن تافراجين الابن في الاستيلاء على تونس فجعله رديفاً لأخيه الأمير أبي يحيى زكرياء مكافأة على خدماته له<sup>(٣)</sup> ولم يفرد له منصباً سياسياً خاصاً به. وكان هذا المنصب دون آمال ابن تافراجين ومطامعه<sup>(٤)</sup> مما جعله يفكر في الهرب وتدهورت العلاقات بين الحاجب محمد بن تافراجين والسلطان أبي العباس أحمد بسبب ما بلغه وزراؤه به من أن محمد ابن تافراجين اتفق سرّاً مع العرب في الخروج عليه ومهاجمة الحاضرة تونس<sup>(٥)</sup> فأمر السلطان بالقبض عليه وإرساله الى قسنطينة وظل معتقلاً بها الى أن توفي في سنة ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦ - ١٣٧٧م<sup>(٦)</sup>.

وهنا نلاحظ قوة السلطان أبي العباس أحمد ضد أطماع وزرائه فكان محمد

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠٦ - ١٠٧، ابن القنفذ: الفارسيه، ص ١٧٨، ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ٢٢٨ ق.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠٦، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١١٠

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠٦، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١١٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٨-٢١٩

(٤) المطوى: السلطنة، ص ٤٨٤

(٥) ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١١٠، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٧٣

(٦) ابن الشماخ: المصدر السابق ص ١١٠؛ السراج: المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٠؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٠-٢٢١

بن تافراجين (الابن) عبّرة لمن تسول له نفسه في الخروج على السلطان، وبالتالي رضخ جميع وزرائه لأوامره مما مكنه من السيطرة على البلاد بمساعدة وزرائه.

وجاء من بعده ابنه أبو فارس عبدالعزيز من أعظم سلاطين بني حفص في الطور الثاني للدولة الحفصية وسيطر على وزرائه وجعلهم موضع تنفيذ للقراراته حيث رتب أحوال البلاد، وأعطى الأموال، وأخذ بالشدة والحزم في دولته وجعل كل وزير على خطته التي تتناسب معه ويصلح لها فاستقامت الأمور على أحسن وجه<sup>(١)</sup> وأخذ حذره من كل من يشك في نواياه باتجاه دولته، وضرب على أيدي المفسدين<sup>(٢)</sup> وأصبح وزرائه طواعية له فقاموا بالعمل على تحقيق أهداف السلطان ضد الخارجين عليه للعمل على وحدة البلاد مثلما قام به وزيره الأكبر محمد بن عبدالعزيز في استرداد قسنطينة<sup>(٣)</sup>.

وعندما توفي السلطان أبو فارس عبدالعزيز في العاشر من ذي الحجة ٨٣٧/ الثامن عشر من يولييه ١٤٣٤ م استطاع الوزراء من تمكين محمد المنتصر من الحكم والترفع على عرش السلطنة الحفصية على الرغم من صغر سنه<sup>(٤)</sup> وقام السلطان محمد المنتصر بتغيير رجال دولته ومنهم وزرائه وإبعاد المشبوه فيهم فاعتقل الوزير الأكبر الشيخ محمد بن عبدالعزيز بعد هروبه بمساعدته

(١) الزركشي المصدر السابق، ص ١١٦؛ ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٩٠؛ ابن الشّاع: المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٨٩-١٩٠، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٧٥.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٢.

أعراب جنوب الوطن القبلي، لأنه شك في نواياه من حيث الثورة ضده ومحاولته الاستيلاء على الحكم<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من تغيراته الإدارية التي أحدثها وحملة الاعتقالات التي قام بها ضد أقاربه وإخوته والوزراء السابقين لم يتغير شيء في الوضع بل زادت حالات التزمزيم في البلاد فقام هو وزرائه بقيادة جيش عظيم من أجل تفقد البلاد وتهذيب الأوطان<sup>(٢)</sup> والقضاء على جميع الأعراب المفسدين<sup>(٣)</sup>.

واستمرت حالة السيطرة على الوزراء وعدم استبدادهم بالحكم في ظل توالى سلاطين عظماء للدولة الحفصية كانت لهم السيطرة على مقاليد السلطة واصبح وزرائهم وزراء تنفيذ، فنجد السلطان أبا عمرو عثمان (٨٣٩ - ٨٩٢ هـ / ١٤٣٥ - ١٤٨٩ م) الذي يعتبر آخر سلاطين بني حفص العظماء الذي سار على نهج سابقه حيث التحكم في السلطة المركزية بيديه دون الآخرين فأبقى على كبار رجال الدولة من الوزراء والقادة والولاة دون تغير<sup>(٤)</sup>.

ونجده يستخدم الشدة مع وزرائه ومع من تسول له نفسه الخروج على السلطان ورفض أوامره فأخذ كبير الوزراء محمد الهلالى عبدة لباقي الوزراء

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٢؛ المطوى: السلطنة، ص ٦٠٣؛ برنشفيك: المرجع السابق، ص ٢٧٠.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٢، ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ٢٣٤

(٣) ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١٢١، ابن أبي دينار: المصدر السابق، م ١٧٧، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(٤) ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٥.

حيث امر باعتقاله في أواخر جمادى الأولى ٨٣٩ هـ ديسمبر ١٤٣٥ م وعوضه بوزير آخر وهو أبو عثمان سعيد الزرير<sup>(١)</sup>.

ولم يكن موقف السلطان أبي عمرو عثمان مع وزير ماليتة أقل من موقفه مع وزيره الأكبر محمد الهلالى، حيث قام بأعفاء وزير المال (الجباية) من مهامه وأودعه في السجن مع ابنه وجرده من ممتلكاته، ثم أعفى قائد بجاية على بن مرزوق من مهامه<sup>(٢)</sup>، وعهد بخطة وزارة الجباية الى الفقيه أحمد بن إبراهيم السليمانى الذى بقى فى هذا المنصب حوالى اربعين سنة متمتعاً بثقة السلطان كما عوض السلطان من توفي من وزرائه بغيرهم من الأكفاء<sup>(٣)</sup>.

فكان السلطان أبو عمرو عثمان دائماً شديداً على وزرائه لم يسمح لأحد منهم بالخروج عن طاعته فكانت اوامره قيد التنفيذ لذلك استطاع هذا السلطان الذى يعتبر خاتمة السلاطين العظماء للدولة الحفصية ، حيث استطاع بمساعدة وزرائه المنفذين لسياسته من تحقيق اهدافه بإحكام القبضة على الدولة كلها، وعندما استفحل نفوذ القائد نبيل وبدأ يتناول على السلطة الحفصية قام السلطان بتنكيل به فى الحادى عشر من ربيع الاول سنة ٨٥٧ هـ/ابريل ١٤٥٣ م، فقبض عليه وعلى اولاده وخدمه واعتقلهم بسجن القصبة وأرسل أبو الفضل بن أبى هلال

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨ نلاحظ انه فى نهاية الدولة الحفصية قد اختلقت الفاظ لمناصب والوظائف فيما بينها، حيث تداخلت مهام كل من وظائف الوزير مع الحاجب مع المزوار وتلقها جميعا فكانت من اهم مهام الوزراء.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨.

(٣) ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١٢٦؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٥-١٣٩؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨.

على رأس جيش واعتقل ابن القائد نبيل<sup>(١)</sup> في عنابه وعاد به إلى تونس وحبسه مع والده وإخوته وأمر السلطان بجمع أموال القائد نبيل وأولاده ورجاله من جواهر وعقارات وآثاث وظل القائد في السجن لمدة شهرين حيث وافاه الأجل في السجن كمدًا وقسوة، ودفن بالمقبرة الواقعة بجوار المدرسة الموجودة شرقي باب يتجمي أحد ابواب القصبة<sup>(٢)</sup>.

وبعد السلطان أبي عمرو عثمان دخلت البلاد الحفصية في دوامة من الفوضى والحروب بين المتنازعين على السلطة، ولم تذكر المصادر المعنية أى شىء عن رجال الدولة وخاصة الوزراء ولكن في عهد السلطان أبى عبدالله محمد نجد انه قد قتل أحد وزرائه هو الغريب الذى ارسله رسولاً الى سلطان مصر الغورى، وخاف السلطان من غدر هذا الوزير فقتله غدراً عند باب السويقه عام ٩١٤ هـ<sup>(٣)</sup> وهذا يعنى أن السلطان أباعبدالله محمد كان شديداً على وزرائه، وهناك ايضاً ما يثبت أنه أرسل وزيراً لجند على رأس جيش لمحاربة النصارى وهذا الوزير هو القائد محمد أبو حداد الذى كان من اكبر قواده وكانت له صلاحيات الوزارة<sup>(٤)</sup>.

ودخلت البلاد من بعده في صراع مع الأتراك والنصارى والحروب بين اهل تونس وبين الغزاه وتمكن النصارى من المشاركة في الحكم في عهد السلطان أبى محمد الحسن بن أبى عبدالله محمد الذى استوزر الحسن محمد

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ت ١٣٩؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٨.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٤٧؛ المطوى: السلطنة، ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٣) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٤) المصدر السابق نفسه ونفس الصفحة

السليطين بن عبد الملك ولكن السلطان ووزيره استبدا بهم النصارى حيث شاركهما في الحكم النصرانى جوان بن جاكو ووصلت البلاد الحفصية الى قمة الإنحطاط<sup>(١)</sup>، وتوالى على البلاد الأزمات حتى استولى عليها العثمانيون وانتهت الدولة الحفصية وزال نجمها.

وخلاصة القول ان العلاقة بين الوزير والسلطان كانت قائمة على قوة السلطان، فالسلاطين الاقوياء رضخ لهم الوزراء وقاموا بتنفيذ سياستهم على أكمل وجه، وكان السلاطين العظماء يبطشون بكل وزير يحاول أن يخلع ثوب الطاعة والولاء فكانت نهايتهم القتل وتصفية أموالهم، وبالتالي سيطر السلاطين على البلاد وامتدت سلطتهم على جميع الولايات بفضل الوزراء المخلصين لهم، وازدهرت البلاد في جميع المجالات وقدمت القبائل فروض الطاعة سواء بالسياسة او الحروب، على العكس من السلاطين الضعاف أو السلاطين الصغار الصبية حيث استبد الوزراء بالسلاطين واصبح السلاطين ألعوبة في يد الوزراء الحفصيين، وصارت كل أمور الدولة في يد الوزراء والحجاب وسيطروا على أموال البلاد، وتحكموا في العباد وبلغت الدولة في عهدهم أشد الانحطاط.

(١) المصدر السابق: ص ١٩٠ وما بعده من الصفحات

## الدور السياسي للوزراء في الحروب الداخلية والفتن

لعب الوزراء دورًا هامًا في الحروب الحفصية الداخلية والفتن والثورات، حيث تحرك السلطان أبو يحيى زكرياء بجيوشه بمرافقة وزرائه في سنة ثمان وعشرين وستمائة من أجل الاستيلاء على قسطنطينية، فنزلوا بساحتها وحاصروها أيامًا، واستطاعوا دخولها بمساعدة ابن علناس، وقبضوا على واليها، وولوا عليها ابن النعمان<sup>(١)</sup>، وتحركوا إلى بجاية ففتحوها وقبضوا على واليها وصيرهما إلى المهديّة معتقلين في البحر وبعثوا بأهلها إلى الأندلس، وشمل سخط السلطان أبي يحيى زكرياء وزيره ميمون بن موسى فأخذ أمواله وبعث به إلى قابس واعتقله هناك مدة طويلة، ثم تخلص منه نهائيًا بنقله من الأراضي الأفريقية "التونسية" إلى الإسكندرية واستوزر بدلًا منه يحيى بن أبي العلاء بن جامع<sup>(٢)</sup>.

وفي عام ٦٣٦ هـ خرج السلطان أبو زكرياء يحيى ومعه وزراؤه من أجل تأديب قبائل زناته بالمغرب الأوسط، واستطاعوا تأمينها واخضوعها تحت طاعته، وتحركوا إلى بجاية ومنها إلى الجزائر، واستطاعوا السيطرة عليها وولي السلطان عليها أحد رجاله<sup>(٣)</sup>. وكان السلطان أبو زكرياء الحفصي له مطامحه من أجل الاستيلاء على ملك بني عبد المؤمن في مراكش من أجل الاستقلال بالدعوة ولكنه وجد الطريق أمامه مسدودًا في تلمسان يقوده يغمراس بن زيان وكان ينتظر

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٥

(٢) نفس المصدر السابق: ص ٢٥، ٢٦

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٢٦

الفرصة<sup>(١)</sup> التي سنحت من أجل القضاء علي بني زيان وينطلق إلي مراكش<sup>(٢)</sup>.

وخرج أبو زكرياء ووزرائه في شوال سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤٢ م قاصدين تلمسان بعدما أراحوا الجنود وضموا إليهم قبائل رياح<sup>(٣)</sup> وسليم<sup>(٤)</sup> وبلغ الجيش أربعة وستين ألفاً من الفرسان بفضل وزرائه وكبار رجال دولته<sup>(٥)</sup> وفرضوا الحصار علي تلمسان، ودارت عدة معارك حولها<sup>(٦)</sup>، ولكن استطاع يغمراسن الهروب عن طريق ثغرة في الحصار، هو وأهله وحاشيته بعد أن قتل

(١) سنحت هذه الفرصة عندما جاء وفد من بني توجين وبني منديل يستغيثوا أبي زكرياء ضد يغمراسن ويعدوه بالطاعة والانقياد ومساعدته في السيطرة علي تلمسان لذلك ازدادت أماله في السيطرة عليها واعد العدة والجيش وتحرك إليهم. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ١٥٠، المطوي: السلطنة، ص ١٤٢

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٨.

(٣) قبائل رياح: من اكبر قبائل هلال وأكثرهم جمعا عند دخولهم إفريقية ومن بطونهم عمرو ومر داس والدواودة. ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٦٩ - ٧٣.

(٤) قبائل سليم: من أوسع واكبر بطون مضر، أكثرهم جموعا، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفه من قبس، ومن بطونهم بأفريقية زغب، ودياب وهبيب وعوف، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ١٤١ - ١٥٠.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٥، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٨، المطوي: السلطنة، ص ١٤٢، ابن الشجاع: المصدر السابق، ص ٥٩ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ١٥٦.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٩، وقيل الحصار إثناء سير الجيش الحفصي إلي تلمسان قام الأعراب في الجيش بالتشاكل والتكاسل عن متابعة السير مع أبي زكرياء ولبيكنه استطاع إن يقدموا علي المشاركة في حملته عن طريق العطايا والوعود، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص ٦٠٩، المطوي: السلطنة الحفصية، ص ١٤٢.

من جنود أبي زكرياء عددًا كبيرًا<sup>(١)</sup> ودخل أبو زكرياء ووزراؤه المدينة من باب كشوطه في شهر ربيع الأول من سنة ٦٤٠ هـ / يولييه ١٢٤٢ م<sup>(٢)</sup> فقابلته صعوبات بعد الاستيلاء على المدينة، وفي النهاية تفاوض مع يغمراسن بتوليته تلمسان علي أن يعترف بسلطة أبي زكرياء الحفصي عليه<sup>(٣)</sup>، وأثناء عودة السلطان أبي زكرياء الحفصي إلى تونس حذره وزراؤه وكبار رجال دولته من يغمراسن وعدم الثقة فيه، ونصحوه بإقامة منافسين له من زناته حتى لا يخلوا له المكان وتزداد سطوته ونفوذه.

ويكون الأعراب عقبة أمامه تمنعه من أهدافه الغادرة فاقتنع أبو زكرياء: من نصيحتهم، وعين بعض الأمراء منهم عبد القوي بن عطية التوجيني، والعباس بن منديل المغراوي<sup>(٤)</sup>.

### دور الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين في القضاء على ثورة أبي إسحاق:

وفي عهد السلطان المستنصر لم تكن ثورة الوزير بن أبي مهدي هي الأخيرة بل توالى الثورات المتتالية التي واجهت وهزت استقرار الدولة الحفصية، فبعد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص ٦٠٩، المطوي: السلطنة، ص ١٤٢، الدولاتلي: مدينة تونس، ص ٦٠.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٩، ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ٦١٠، من الصعوبات التي واجهت أبو زكرياء في تلمسان هروب يغمراسن وهروبه معه بالإضافة إن زعمائه لن تقبل والي من قواد أبي زكرياء ليكون مفروض عليهم، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص ٦١٠.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦١٠، المطوي: السلطنة، ص ١٤٦.

أن قضي المستنصر بمساعدة ووزرائه علي ثورة ابن المهدي، وقع الخلاف والشقاق بين أبناء السلطة الحفصية الحاكمة فقد دب الخلاف بين السلطان المستنصر وأخيه أبي إسحاق إبراهيم<sup>(١)</sup>، حيث كان أبو إسحاق إبراهيم لا تعجبه تصرفات أخيه السيئة، فأخذ يشكو سوء خلقه وتصرفاته، وتحدث بهذا الأمر إلي خاصته ورجاله، فعلم السلطان المستنصر بهذه الأحاديث، فخشي ثورة أخيه والخروج عليه، فشدد عليه الحصار والمراقبة<sup>(٢)</sup> وبالفعل حدث ما كان يخشاه المستنصر، ففي سنة ٦٥١ هـ هرب الأمير أبو إسحاق من معسكره، ولحق بالدواوده فبايعوه بروايا من نواحي نقاوس<sup>(\*)</sup> واجتمعوا علي أمره.

واتسع نطاق الثورة بانضمام القائد ظافر مولي أبيه الهارب، فايده مقابل أن يتولي وزارته<sup>(٣)</sup>، وتحركوا إلي بسكره<sup>(\*)</sup> وحاصروها بعد أن تجمع الناس من

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣١-٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨، المطوي: السلطنة، ص ١٧٩

(\*) نقاوس: مدينة صغيرة كثيرة الأشجار والبساتين، وأكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به إلي ما جاورها من الأقطار وفيها سوق ومعاش كثيرة راجع الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٦٤، ٢٧٨، مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق، سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية، دار النشر المغربية ١٩٨٦، ص ١٧٢، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية، ص ٥٠، الحميري، الروض العطار، ص ٥٧٩

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٢، المطوي: السلطنة، ص ١٧٩

(\*) بسكره هي من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخيل والزيتون وأصناف الثمار وعليها سور وخنادق وبها جامع ومساجد كثيرة وحمامات وجواليها كثير من البساتين وبها أنواع كثيرة من التمر راجع الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٦٤، مجهول الاستبصار ص ١٧٣ - ١٧٤، البكري: المغرب، ص ٥١، ٥٢،

حولها، وتوسعت دائرة نفوذه، ولكن هذه المدينة حاولت منعه من دخولها وقاموا قواته التي توطئ معهم فضل بن علي بن الحسيني بن مزني من مشايخ بسكره حيث نادى بإشهار طاعتهم، ولكن أهل المدينة تأمروا عليه ليقتلوه ففر إلى أبي إسحاق إبراهيم، ولكن لم يمر وقت طويل حتى بايع أهل بسكره أبا إسحاق وقدموا له فروض الطاعة والولاء<sup>(١)</sup> بعد أن ألقوا السلاح وبايعوه<sup>(٢)</sup>، وتضخمت قواته وازداد نفوذه في المنطقة، وتحرك إلى قابس ونزلها واستولي عليها، ووفدت إليه القبائل العربية من كل مكان، وعظمت قوة أبي إسحاق ورجاله، واستشعر السلطان المستنصر بالخطر القادم عليه وعلي دولته، فبادر علي وجه السرعة بالقبض علي أولاد أبي إسحاق وحبسهم بالقصبة<sup>(٣)</sup>، وجعل أمر أبي إسحاق إلي وزيره القوي الشجاع ابن أبي الحسين من أجل القضاء علي هذه الفتنة العارمة التي استفحل أمرها، ولكن الوزير ابن أبي الحسين كان شديد الذكاء والدهاء من أجل القضاء علي الثائرين، بعد أن فشلت القوة العسكرية ضدهم وذلك بسبب استفحال قواتهم، وفكر الوزير بأنه من الصعب هزيمتهم عسكرياً<sup>(٤)</sup> طالما كان الثائر إبراهيم متحالفاً مع القائد ظافر مما جعل أي محاولة حربية ليست في صالح المستنصر ففطن الوزير إلي إفساد العلاقات الحسنة بين الثائر وقائده محذراً أخت أبي إسحاق من بغدر

الحميري، الروض المعطار، ص ١١٣ - ١١٤.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨، المطوي: السلطنة، ص ٦٨

(٢) المطوي: السلطنة، ص ١٨٠

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٢، المطوي: السلطنة، ص ١٨٠.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٢، المطوي: السلطنة، ص ١٨٠

القائد ظافر، فأرسلت إلي أخيها بذلك، فتنكر ظافر ورجاله وفارقهم خوفاً من خيانتهم والانضمام إلي المستنصر، وسارا إلي المغرب ثم لحق بالأندلس فنزل علي السلطان محمد بن الأحمر فأكرم وفلذته<sup>(١)</sup>، وهكذا كان للوزير دور هام وذكي في القضاء علي هذه القوة الطامعة دون اللجوء إلي القوة العسكرية، وهذا دورًا إيجابيًا هام للوزير من أجل تدعيم وجود الدولة الحفصية.

### دور الوزير أبي عبد الله بن أبي الحسين في القضاء علي ابن النعمان:

كان بنو النعمان هؤلاء من مشيخة هتانة ورؤسائهم وبلغوا علي المناصب في عهد الأمير أبي زكرياء الحفصي لدرجة أن جعل لهم منطقة قسطنطينية<sup>(\*)</sup> تحت ولايتهم<sup>(٢)</sup> يستعملون عليها من أهله من يشاءون ولهم حرية التصرف في ذلك وقد استمروا علي ذلك الأمر حتى أوائل عهد السلطان المستنصر الحفصي<sup>(٣)</sup>، وكان كبير بنى النعمان هو أبو علي ومن بعده ميمون وعبد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٨٨ بعد هزيمة أبي إسحاق إبراهيم إلي الأندلس شارك في الجهاد ضد النصاري وابلي بلاء حسنا، وظل أخيه السلطان المستنصر يهادي ابن الأحمر ويرسل له كبار رجال دولته من أجل مصافحته في شأن أخيه إلي أن توفي. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٢، ص ٦٣٢-٦٣٣، العامري: تاريخ المغرب، ص ٨٠ هامش

(\*) مدينة فسنطينة: مدينة وقلعة كبيره جدا حصينة عالية لا يصلها الطير إلا بجهد، يحيط بها خندق، تقع علي جبل عظيم، والخندق يدور حول المدينة من ثلاث جوانب تتسربها البساتين والزرع. راجع: مجهول الاستبصار، ص ١٩٥-١٩٦، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص ٢٦٦، الحميري، المعطار، ص ٤٨٠-٤٨١، العامري، تاريخ المغرب، ص ٢١ هامش.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

الواحد<sup>(١)</sup> وعندما قامت ثورة الوزير ابن أبي مهدي ومحمد اللحياني، وقفوا مع الثائرين ضد المستنصر<sup>(٢)</sup> مما أثر على علاقتهم مع السلطان حيث تدهورت لدرجة أن ما كاد المستنصر يقضي على ثورة الوزير ابن مهدي وابن اللحياني حتى خرج هو سنة (٦٥١ هـ) وبصحبه كبار رجال دولته ووزرائه ومنهم الوزير أبي عبد الله بن الحسين وقبضوا على رؤساء بني النعمان، فقتل البعض منهم مثل ميمون ونفي أبا علي إلى الإسكندرية.<sup>(٣)</sup>

### دور وزراء المستنصر في ثورة أبي عمارة وبني مرداس وبني دياب:

لم يكن القضاء على بني النعمان وتصفية وجودهم من منطقة قسنطينة يمنع من قيام ثورة ثائر آخر ببلاد الذاب يدعي أبو عمارة، فخرج السلطان يصاحبه وزراؤه وكبار رجال دولته وقواده، وهزموه شر هزيمة وقبض عليه، وأرسل إليه السلطان فقتله، وقطع رأسه وأرسلها إلى تونس لتعلق بها لتكون عبرة للآخرين<sup>(٤)</sup> ثم قام المستنصر ووزراؤه بحملة تأديبية ضد بني مرداس وبني دياب<sup>(٥)</sup> في جبال الحفنة<sup>(٦)</sup> وقبض على عدد من رؤسائهم<sup>(٧)</sup> منهم رحاب بن محمود

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٣، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٣، العامري: تاريخ المغرب، ص ٨٠، ص ٨٠ هامش.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٣ - ٩٣٤، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٤، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣، ابن القنفذ:

الفارسية، ص ١١٩، يذكر ابن القنفذ أن أسباب هذه الحملة التأديبية هو أن بني مرداس

بايعوا الأمير أبا إسحاق في ثورته ضد المستنصر، راجع، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨.

(٦) المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

(٧) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٤، المطوي: السلطنة، ص ١٨٣.

وابنه<sup>(١)</sup> وأرسلهم إلى سجن المطيق بالمهدية<sup>(٢)</sup>.

### دور الوزير بن أبي الحسين في مقتل ابن الآبار<sup>(٣)</sup>:

كان ابن الآبار ذا أنفة وكبر، فعندما ولاه السلطان أبو زكرياء الحفصي كاتباً لرسائله وقربه منه، ثم بعد مدة هوته نفسه إلى كتابة الرسائل بالخط المشرقي لأنه كان يحبه ويؤثره عن الخط المغربي فقام السلطان بعزل ابن الآبار<sup>(٤)</sup> وتعيين أبي العباس التهامي فسخط ابن الآبار<sup>(٥)</sup> وقام بالتعليم في كتب لم يأمر السلطان بتدريسها<sup>(٦)</sup> فعرف السلطان بما فعله ابن الآبار فأمره

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٣٤. المطوي: السلطنة، ص ١١٩، ١٨٣.

(٣) هو ابن عبد الله محمد بن أبي بكر القصاعي المعروف بابن الآبار من كبار أهل بلنسية، وكان علامة في الحديث ولسان العرب، وبلغا في الترسيل والشعر، وكتب عن السيد أبي عبد الله بن أبي حفص ابن عبد المؤمن بلنسية ثم عن ابنه أبي يزيد، ولم هاجم النصارى بلنسية، بعث زيان بوفد بلنسية إلى الأمير أبي زكرياء الحفصي، وكان فيهم ابن الآبار: فحضر مجلس السلطان وانشد قصيدته يستصرخه، فبادر السلطان بإغاثتهم وشحن الأساطيل بالمدد إليهم من المال والأقوات فوجد العدو محاصراً لهم ثم تغلبوا علي بلنسية ورجع ابن الآبار بأهله إلى تونس فأنزله السلطان بخير مكان، وجعله كاتباً لرسائله.

راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٢-٦٥٣، ابن القنفذ: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة - بيروت، ج ٢، ١٩٧١، ١٩٧٨، ص ٣٢٤.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٣ - ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٢ الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨-٢٩، ابن القنفذ: وفيات الأعيان، ص ٣٢٥.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨-٢٩، ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٨.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨، ويذكر الزركشي سبب آخر لعزله وهو سوء خلقه، راجع الزركشي: نفس المصدر والصفحة.

بلزومه بيته وشدده عليه الحصار داخل منزله<sup>(١)</sup> فسعي ابن الآبار في العودة إلى مكانته داخل القصر، فقام بتأليف كتاب رفعه إلى السلطان<sup>(٢)</sup> ليمجد فيه شاعر السلطان وابنه وتعديلا على أن قول الشعر من خصال كبار الخلفاء الراشدين وسماه (أعتاب الكتاب)، واستشفع فيه بابنه المستنصر فعفي عنه السلطان أبو زكرياء وأعادته للكتابة<sup>(٣)</sup> وبعد وفاة أبي زكرياء وتولي المستنصر الحكم ظل ابن الآبار في عمله وقربه من السلطان<sup>(٤)</sup> يحضر مجلسه مع خاصة السلطان الذين كانوا يحضرونه من أهل الأندلس وأهل تونس، وكان ابن الآبار ذا أنفه

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، نلاحظ هنا إن عزل السلطان لابن الآبار من منصبه وذلك يرجع للخلاف والوقعة بين الأندلسيين والبلديين (الموحدين وغيرهم) فقد كان هناك صراع بين هؤلاء المهجرين الأندلسيين مع شيوخ وعلماء كل قطر نزله، لأن المهاجرون كانوا يحسبون أنهم اعلى من غيرهم واقدر وهم أولي بالكرم والمناصب على العكس كان أهل البلد يرون أن الأندلسيين يجب أن يقتنعوا بما حصلوا عليه من تكريم ولا يطمعوا في أكثر من ذلك وكان هذا الخلاف بلغ أشده في الدولة الحفصية، وكان ابن الآبار رجل طموح إلى السلطة والجاءه وحب الدنيا بالإضافة انه سريع الغضب صرط اللسان تصدر عن المساءة ولا شعر مما كان له ابلغ الأثر في عزله من منصبه. راجع ابن الآبار: الحلة السيرة السيرة، تحقيق حسن مؤنس، دار المعارف ١٩٨٤، ج ١، ص ٤٠-٤١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، ابن الآبار: الحلة السيرة السيرة، ج ١، ص ٤٣

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، ابن الآبار: الحلة السيرة السيرة، ج ١، ص ٤٥، المطوي: السلطنة، ص ٢١٧، ابن القنفذ: كتاب الوفيات، ص ٣٤٥، حيث بالغ ابن الآبار في التذلل للسلطان واخذ يقص حكايات كتاب سبق لهم غضب السلاطين عليهم ثم حلت بهم نعمة الرضا فعاتبهم، راجع ابن الآبار: الحلة السيرة السيرة، ج ١، ص ٤٢

(٤) ابن الآبار: الحلة السيرة السيرة، ج ٢، ص ٤٣

وضيق خلق، فكان لا يوقر السلطان المستنصر وكان لا يزري عليه في مجلسه<sup>(١)</sup> مما جعل السلطان يسخط عليه ويتغير من ناحيته فخشن عليه صدره<sup>(٢)</sup> فكانت هذه فرصة للوزير أبي الحسين الذي ضيق عليه ابن الآبار واشتد ضيقه منه بسبب حقد قديم<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى ازدرائه المستمر للوزير ودائم الحط من شأنه<sup>(٤)</sup> فأوغر قلب السلطان عليه فأبعد ابن الآبار إلى بجاية فذهب إليها، وانقطع عن الحياة السياسية ومشاكلها<sup>(٥)</sup> وكتب إلى السلطان يمجده ويشيد بأعماله<sup>(٦)</sup> وعاد ابن الآبار من بجاية، وأعاد السلطان إلى مكانه من مجلسه واستمر ابن الآبار في صراطة اللسان والاساءة إلى السلطان والكبراء<sup>(٧)</sup> وكان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، ابن القنفذ: الوفيات، ص ٢٣٥، المطوي: السلطنة، ص ٢١٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، المطوي: السلطنة، ص ٢١٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، المطوي: السلطنة، ص ٢١٧، يرجع هذا الحقد أنه عندما قدم ابن الآبار من بلسنة نزل بنزرت وخاطب ابن أبي الحسين بغرض رسالته ووصف أباه في عنوان رسالته بالمرحوم ونبه علي ذلك فاستضحك وقال: أن أبا لا تعرف حياته من موته لأب خامل وترامت هذه الأخبار إلى ابن أبي الحسين فأسرها في نفسه حتى جاءت الخطة المناسبة للتخلص من ابن الآبار: راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤.

(٤) ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٣.

(٥) ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٣، ابن القنفذ: كتاب الوفيات، ص ٣٢٥، هامش، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٤، لم تكن حياة ابن الآبار بجاية سيئة فكان محل أعجاب وتقدير الناس، ولكنه لسوء أخلاقه أيضا في بجاية تقلصت عنه النعمة، راجع ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٤.

(٦) ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٣.

إلى السلطان والكبراء<sup>(١)</sup> وكان هذا من تدبير خصومه وخاصة من الوزير أحمد بن إبراهيم الغساني وزير المستنصر، ولم يكن الغساني ليطمئن له جنب، وابن الآبار قريب من السلطان يستطيع الوصول إليه إذا أراد، وكان السلطان المستنصر رجلاً كثير المخاوف يتوقع الخيانة من كل ناحية لان أعداءه الخارجين عليها كانوا كثيرين، ففهم الوزراء ابن الآبار بالتدبير ضد السلطان والدولة، فيحل بذلك دمه للسلطان ويتخلصون منه<sup>(٢)</sup>. لدرجة إن السلطان المستنصر لم يطيق النظر إليه منذ أن عاد ابن الآبار من بجاية، فإذا دخل عليه لم يكلمه أو يلتفت إليه، فشكى ابن الآبار وتألم على الزمان من سوء حظه فقال:

علت سني وقدري في انخفاض      وحكم الرب في المربوب راض  
إلي كم اسخط الأقدار حتي      كأني لم أكن يوماً براضي<sup>(٣)</sup>

فأمر السلطان الوزير أحمد بن إبراهيم الغساني بالبحث في داره وكتبه ودفاتره، فعثر علي بيت شعر يقول (طغي بتونس خلف سموه ظلماً خليفة)<sup>(٤)</sup> ووجد السلطان كتاباً لآخر يسيء إلى السلطان، فأمر بضربه بسياط،

- 
- (١) ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٦٥٤  
(٢) ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٦٥٤ - ٦٥٥  
يذكر انه من أسباب قتل السلطان لابن الآبار بأنه ذات مرة سمع ابن الآبار بأن السلطان يسأل عن مولد ولده أبي زكرياء يحيي الذي تولى السلطة بعده وتلقب بالواثق، فجاء ابن الآبار في اليوم يخبره فيها تاريخ الولادة وطالعتها ويقال أن هذا الطالع كان نحسًا، فاستشاط السلطان غضبًا من فضوله وتطفله، راجع ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٤ - ٤٥.  
(٣) ابن الآبار: الذخيرة، ج ١، ص ٤٤٥.  
(٤) ابن الآبار: الحلة السيرة، ص ٤٥، ابن خلدون: العبر، مج ٥، ج ٦، ص ٦٥٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٥.

وقتل رميا بالرماح سنة ٦٥٠ هـ<sup>(١)</sup> وهكذا كانت الوفاة البشعة ثم أمر السلطان بحرق جثته مع كتبه وأوراقه التي كانت تشمل علي أمهات الدواوين وأصول الكتب الأندلسية<sup>(٢)</sup> واستولوا علي أمواله الكثيرة التي امتلكها<sup>(٣)</sup> وخلاصة القول نقول إن الصراع بين الوزراء علي التقرب للسلطين داخل القصور الحفصية، وان العوامل والأموال التي جمعها كل هؤلاء العظماء من رجال الدولة ساعدت كثيرا علي خلق جو من التآمر والدسائس والكره والبغض لبعضهم البعض التي أدت في النهاية إلي القضاء علي أديب ومفكر وإنتاجه الفكري، وهذه أحد الجرائم التي يتحملها الوزراء من الناحية الأخلاقية والسياسية.

(١) ابن الآبار: الحلة السيرة، ص ٤٥، ابن خلدون: العبر، مج ٥، ج ٦، ص ٦٥٥، الزركشي: المصدر السابق، ص، ابن الآبار: الحلة السيرة السيرة، ج ١، ص ٤٥-٤٦، الفارسية، ص ١٢٣.

(٢) ابن الضياف: إتحاف الزمان، ص ٣٦، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٥، ابن الأحرر: مستودع العلامة، ص ٢٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ٣٦، ونلاحظ هنا قسوة العقاب الذي ناله ابن الآبار فلا يتناسب مع تاريخ ابن الآبار وكانت هذه العقوبة نزل به لأن هذه العقوبة كانت لا تنزل إلا بأعداء السلاطين ذو الخطر أو الذين حاربوهم، ولكن لا شك أن الوشاية في حق صورته أبشع صورة له، فتعتبر هذه الجريمة من أبشع جرائم الوزراء وسلاطينهم حيث لعب الوزراء دورهم في عملية القتل، راجع ابن الآبار: الحلة السيرة، ج ١، ص ٤٦، المطوي: السلطنة الحفصية، ص ٢١٧، ٢١٨.

(٣) مني سيد: المرجع السابق، ص ٢٣٣.

### وزراء السلطان أبي إسحاق إبراهيم وثورة ابن أبي عمارة:

كان نتيجة لضعف السلطان أبي إسحاق وسيطرة وزرائه عليه، وسكونه إلى اللهو والملذات، وسوء حالة البلاد، وسعي الوزراء إلى السيطرة على الأموال ومقاليد السلطة، وترك أمور الدولة للوزراء وأبنائه<sup>(١)</sup> جعل ابن أبي عمارة يقنع أعراب المعقل في المغرب الأقصى بأنه المهدي المنتظر ولكن أمره انفضح، فتحرك إلى المناطق الجنوبية من إفريقية حتي وصل بني دياب في طرابلس الغرب لنشر دعوته، وصادفه " نصير " مولي السلطان الواثق الحفصي فاعتقده الفضل بن الواثق، واتفقا سويا علي ذلك، واختلق قصة الفضل بن الواثق لمساعدة المولي نصير فاستجاب له بني دياب، وجمع الإعراب حوله وأصبحت له قوة يستطيع أن ينطق بها<sup>(٢)</sup> وسرعان ما بايعه الجنوب الحفصي كله فأرسل إليه السلطان الحفصي جيشا بقيادة ابنه أبي زكرياء ووزير جنده في رمضان ٦٨١ هـ / أكتوبر ١٢٨٢ م فانهزم الجيش الحفصي وتشتت شمله، عندما علموا بسقوط قفصة، وذلك استولي أبو عمارة علي المقر داي ثم صفاقس ثم منطقة الساحل<sup>(٣)</sup>.

وفي شوال ٦٨١ هـ / ١٢٨٣ م سيطر الخوف والفرع علي السلطان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٤٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٤٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٧.

Villes Du Monde Arabe: S Fax, Textes Mohaméd Masmoudi, Photos Heannechevalier, Ansi ١٩٨٤, P. ٢٣.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦.

ووزرائه، بعدما تخلى عنه كبير الوزراء موسى بن ياسين حيث أمر القوات المحتشدة في المحمدية بعدم الفاع عنه، ففر السلطان أبو إسحاق ومعه بعض أفراد حاشيته وأنصاره الأوفياء، أثناء الشتاء وقسوة الطقس، وسلبت منه أمواله في الطريق وأغلقت مدينة قسنطينة أبوابها في وجهه<sup>(١)</sup> وعندما وصل أبو إسحاق إبراهيم بجاية في شهر ذي القعدة ٦٨١هـ/ فبراير ١٢٨٣م، أجبره ابنه أبو فارس علي التنازل عن العرش ومبايعته بالخلافة وتلقب بلقب المعتمد<sup>(٢)</sup> وهذا يدل إلى ما وصلت إليه الدولة الحفصية من تدهور وانحطاط وضعف، وأصبح السلطان ضعيفا لا يحرك ساكنا ولا يستطيع أن يدافع حتي عن عرشه، وما حدث من كبير الوزراء موسى بن ياسين دليل كبير علي الانهيار<sup>(٣)</sup> ودخل الداعي ابن أبي عمارة تونس حاضره الدولة ونودي به سلطانا منذ يوم ٢٧ شوال ٦٨١هـ الموافق ٢٨ ابريل ١٢٨٣<sup>(٤)</sup> وهنا كثر الوزراء والسلاطين، سلطان بوزرائه وجيشه في تونس، وسلطان آخر ووزرائه في بجاية وتقابل الاثنان في مرماجنة قرب قلعة سنان، وانهزم أبو فارس وقتل هو وجميع أخوته(\*) وانتصر الداعي ووزيره موسى بن ياسين وورث السلطة الحفصية

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٦، ص ١١٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٤.

(٣) المطوي: السلطنة، ص ٢٥٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٢، المطوي: السلطنة، ص، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٧.

(\*) قتل أبو فارس عبد العزيز وأخوته عمر وخالد وعبد الواحد ومحمد ابن عبد الواحد وقطعت رؤوسهم وأرسلت إلى تونس حيث طيف بها علي الرماح ولكن أبو زكريا يحيي

وحكم البلاد من شرقي طرابلس حتي غربي بجاية.

### دور الفازازي في صد حملات سلطان بجاية أبو زكرياء:

استطاع أبو زكرياء بن السلطان أبو إسحاق إبراهيم الهرب من أنصار الدعي بعدما قتلوا والده عندما فر من بجاية خوفاً من بطش الأهالي، ولجأ إلى تلمسان عند صهره السلطان سعيد عثمان بن يغموراسن الزباني، وظل لاجئاً هناك حتي انتصر عمر الحفصي علي الدعي، وأعاد للحفصيين هيبتهم وسابق عهدهم<sup>(١)</sup> وكان لوزرائه دورٌ كبير في نهوض أبو زكرياء صاحب بجاية للمطالبة بالحكم، وذلك عندما فضل السلطان عمر الحفصي والوزير محمد بن القاسم بن إدريس الفزازي علي أبي الحسن بن أبي بكر بن سيد الناس ومحمد ابن أبي بكر بن خلدون الذين ساعدوه علي الفرار من معركة قلعة سنان وظهر هذا التمييز جالياً عندما جعله كبير وزرائه، فدبت روح الغيرة والحق في نفس ابن سيد الناس بسبب هذا التمييز، فغادر حاشية السلطان عمر الحفصي، وتوجه إلى تلمسان حيث يوجد أبو زكرياء بن إبراهيم حرضه علي المطالبة بالعرش الحفصي مستغلاً حماسه وطموحه وذلك من اجل كسب المزيد من النفوذ الحظوة عند هذا السلطان في حالة نجاحه في الاستيلاء علي تونس<sup>(٢)</sup> وكانت الفكرة تتماشى مع أهواء أبي زكرياء بن إبراهيم الحفصي، فعمل علي الاستعداد للتحرك إلى تونس العاصمة لمحاربة عمه، فاقترض المال من تجار

الحفصي أستطاع إلي الهروب إلي تلمسان عند صهره سعيد ابن يغموراس راجع ابن خلدون:

العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٥٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩-٧٠٠.

بجاية في تلمسان وجمع الرجال واصطنع الأولياء وعاش أبهة الملك وحياء الملوك<sup>(١)</sup> فاستولي علي بجاية وقسنطينة وكسب ولاء قبائل الذواوذة وبنو سدويكش التي ساندته بقوة<sup>(٢)</sup> وبسط كامل سيطرته علي القسم الغربي من الدولة الحفصية منذ سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م واعترفت مدينتي تدلس والجزائر بسلطته واتخذ من بجاية عاصمة لدولته<sup>(٣)</sup>.

وعندما علم السلطان عثمان بن يغمراسن بما خطط له من غزو إفريقية حاول منعه وذلك بسبب العلاقات الطيبة بين الحفصيين وبنو زيان، ولكن أبا زكرياء عد بن إبراهيم كان عازما ومصمما فتظاهر بخروجه للصيد واتحد مع القبائل العربية، وتلقب بالمنتخب لإحياء دين الله<sup>(٤)</sup> وفي سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م تحرك هو ووزرائه بجيوشه قاصداً إفريقية<sup>(٥)</sup> ولكن كان الوزير ابن الفازازي وزير وقائد الجيش الذي تولي مهمة الدفاع عن السلطان والدولة، فكان شجاعا بارعا في الزود عن سلطانه فاستطاع من إقصائه نحو الجنوب، وأظهر براعته ضد هذا الخصم العنيد والذين رافقوه في حملته، وعاد يجر ذيل الهزيمة، مبتعدا عن العاصمة الحفصية تونس، فاستولي علي قابس بعد حصار

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٤، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٩٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠٠، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠٠، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨، برنشفيك، المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠٠، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٩.

طويل، وكسب ولاء جميع الأعراب في هذه المنطقة ولكنه فجأة عاد مسرعاً إلى بجاية من أجل إنقاذها من الحملة العبدوادية عليها سنة ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م ولو استولي عليها بنو زيان فمن الصعب إخراجهم من هذه البلدان الحفصية<sup>(١)</sup>، وذلك بفعل الوزير الفازازي صاحب الهمة والشجاعة والمهارة في إزاحة هذه الحملة الشرسة واستطاع من صدها وتفويت الفرصة عليهم، وخاصة وزراء السلطان أبو زكرياء الذين كانت صدورهم تغلي من الحقد عليه ومنهم الوزير ابن سيد الناس.

### الوزير الفازازي وقضائه علي ثورة أحمد بن يملول في توزر<sup>(\*)</sup>:

حدثت هذه الثورة نتيجة الصراع بين سداده وكنومه وقامت بينهم فتنة قتل فيها ابن الشيخ سداده، ولم يرض أهل سداده بذلك، فقرروا الانتقام من شيخ كنومه نفسه، فلم يستطع شيخ كنومه من فعل شيء سوي اللجوء إلى عامل توزر من قبل السلطان الحفصي أبي حفص عمر، وعرض عليه أن يمدّه بأموال من أجل أن ينصره علي أهل سدادة<sup>(٢)</sup>، وبالفعل قام محمد بن يحيى بن

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠١-٧٠٢، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٤

(\*) توزر: هي قاعدة بلاد الجريد ولا يوجد في بلاد الجريد غابه أكبر منها ولا أكثر مياهها وبها عيون تنبع من الرمال ومبانيها داخل البلد وبها جامعان، وتكثر بها الأشجار والأزهار راجع التجاني، الرحلة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، تونس، الدار العربية ١٩٨١، ص ١٥٧-١٥٨، ابن حوقل، صورة الأرض، ص، البكري، المغرب، ص، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ١، ص، الوزان، المصدر السابق، ص، الشماخي: السير، ج، ص

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠٢.

أبى بكر عامل توزر بتصعيد عصيان وثورة سدادة، فأمره الوزير الفازازي بالخروج إليه علي رأس جيش كبير من أجل القضاء علي هذه الفتنة بقيادة أحمد بن يملول<sup>(١)</sup> فقاموا بقتل وأسر جميع القائمين بالثورة، وقبضوا علي ابن يملول واستلمه الوزير الفازازي الذي لم يفك أسره ويفرج عليه إلا مقابل دفع غرامة مالية باهظة<sup>(٢)</sup> وعقد سلما بشرط دفع المغارم للسلطة المركزية في تونس<sup>(٣)</sup> وهنا نجد الحنكة والدهاء من الوزير الفازازي والذي استطاع من تأمين الجهات وفرض المغارم علي السائرين، فكان دوره محمود في الدولة الحفصية حيث مهد النواحي ودفع الهجمات وقضي علي الثورات.

### دور الوزير الأكبر ابن اللحياني في استرداد قسنطينة:

عندما تولي السلطان أبو عصيدة حكم الدولة الحفصية جعل لقب الوزير الأكبر للشيوخ أبى يحيى زكرياء ابن اللحياني<sup>(٤)</sup> وعهد إليه بقيادة الجيش<sup>(٥)</sup> وبذل جهوداً عظيمة من أجل المحافظة علي منصبه وإثبات وجوده من أجل السيطرة علي السلطان الصغير الضعيف ضد الأمير أبى البقاء خالد في بجاية، الذي حاول التقرب والمصالحة للسلطة المركزية في تونس عن طريق ابن جبي حاجبه سفيراً للنوايا الحسنة لدى السلطان أبى عصيدة، ولكن استغل خصومه

(١) برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ٧، ص ٧٠٧، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٣١، ١٣٦، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٠.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٨.

(٥) نفس المصدر السابق والمجلد والجزء، ص ٧٣٩.

من حاشية أبي البقاء خالد غيابه وحرصوا عليه الأمير أبا البقاء خالد<sup>(١)</sup> لأنهم لم يكن لهم رغبة في المصالحة بين السلطة المركزية في تونس والخارجة عليها في بجاية خوفاً من فقد مراكزهم في حالة الصفاء والتصالح<sup>(٢)</sup> ولكن كبير الوزراء ابن اللحياني قد حرص السلطان أبو عصيدة علي الرفض وعدم التصالح<sup>(٣)</sup> ولكن ابن أبي جبي كبير حجاب الأمير أبو البقاء خالد قد أكرمه كبير الوزراء عندما وصل تونس من أجل الصلح للمرة الثانية<sup>(٤)</sup> وعندما عاد الحاجب ابن جبي وجد أن الأمير أبي البقاء خالد متنكراً له، فخاف علي منصبه مثل ما حدث لأبي العباس الغبريني<sup>(٥)</sup> حيث سعى الحاقدون علي الحاجب ابن جبي بأنه تحالف مع صاحب تونس ووزيره الأكبر ابن اللحياني من أجل تمكينه من بجاية وقسطنطينية حيث عاملها هو علي الهمزاني صهر الحاجب ابن جبي<sup>(٦)</sup>

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٩، المطوي: السلطنة، ص ٣١٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٣٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦١٥، حيث كان الوزير الأكبر ابن اللحياني هو المتصرف الأول في شئون الدولة وليس السلطان الضعيف أبو عصيدة.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٠.

(٥) كان أبو العباس الغبريني كبير الموحدين في بجاية وكان فيها صاحب الشوري، وعندما أرسله أبو البقاء خالد إلي تونس من أجل التصالح الأول سعي إلي قديث علي من حاشية الأمير أبي البقاء خالد علي أيغار صدره ضد الغبريني لادعائهم أنه خانة في سفارته وتوطأ مع كبير الوزراء ابن اللحياني، قصيص عليه عند عودته وقتله، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٩، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٣-٢٩٤.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٦، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٥.

وعندما شعر أبو الحسن علي بن الأمين بالخطر الذي أحاط به من الأمير أبي البقاء خالد فقرر علي الفور بخلع طاعته وولائه لأبي البقاء عام ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤ م وأعلن بيعته للسلطان أبا عصيدة وأرسل إليه بيعته<sup>(١)</sup> وطلب منه المدد والمساعدة، وعلي الفور تحرك الوزير الأكبر أبو يحيى زكرياء بن اللحياني بجيشه، وأخذ البيعة للسلطان أبي عصيدة وضم قسنطينة إلى أملاك السلطان الحفصي، وعاد الوزير بعد أن رتب المدينة وأعاد إليها أمنها ولكن بعد أن غادرها استطاع أبو البقاء خالد من الهجوم عليها وحاصرها<sup>(٢)</sup> وتم القبض علي ابن الأمين وحضر إلي أبي البقاء خالد فقتله ومثل بجسته ليكون عبرة لغيره وهذا يدل علي مدي ضعف ووهن السلطة المركزية ومدي ضعف الوزراء علي الرغم من سيطرتهم علي السلطان.

#### دور الوزير أبي عبد الله بن يرزيكن في القضاء علي ثورات الكعوب :

استطاعت قبائل الكعوب من هزيمة بني رباح إلي جهة الغرب، وهبطوا واستوطنوا القيروان والجريد سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م، واستفحل شأنهم في عهد السلطان المستنصر وقاموا بطرد قبائل مرداس إلي الصحراء<sup>(٣)</sup> وأغدقت عليه الدولة الحفصية الهبات والعطايا لدورهم الكبير في قيام الدولة الحفصية، فأخذهم الغرور والإعجاب، فأكثروا الفساد في البلاد وانتهبوا الزرع وبلغ

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٧، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٨، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٥.

(٣) محمد حسن: المدينة والبادية، ج ١، ص ١١٦.

ضررهم على العامة والقبائل مما جعلهم موضع حقد وكره من الجميع<sup>(١)</sup> وجاءت اللحظة التي أشعلت فتيل الثورة في وجه السلطان الضعيف المغلوب على أمره من وزراؤه حيث عبر العامة عن غضبهم في نصف رمضان<sup>(٢)</sup> عام ٦٠٥ هـ / ١٣٠٦ م عندما جاء هداك بن عبيد شيخ قبائل الكعوب إلي تونس في يوم الجمعة فدخل جامع الزيتونة<sup>(\*)</sup> لأداء صلاة الجمعة، فدخل الجامع بخفيه تحت عيون العامة، فلما نهره الناس علي فعل ذلك قال " أني أدخل به مجلس السلطان"<sup>(\*\*)</sup> ولم يكذ أن ينهي كلامه حتى سخط الناس عليه وقتلوه عقب الصلاة، وجروا جثته في شوارع المدينة<sup>(٣)</sup>. ونتيجة لذلك كان رد فعل قبائل

(١) اب خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٦، مصطفى أبو ضيف: أثر العرب، ص ١٢٧.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٧  
(\*) جامع الزيتونة: هو أول ما عرف من هذا الجامع صومعته الشهيرة الموجودة قبل دخول العرب أفريقية، وعندما بني المسجد جعلت الصومعة مسجدًا إسلاميًا ومحل للأذان والإقامة، راجع محمد بن عثمان الحشائشي: جامع الزيتونة، تحقيق وتقديم: الحيلاني بن الحاج يحيى، مؤسسة عبد الكريم للنشر، تونس، ط ٢، ١٩٨٥، ص ١٩-٢٤.

(\*\*) فهذه العبارة تدل علي مدي الضعف والوهن الذي وصلت إليه السلطة المركزية التي قد تركزت في أيدي الوزراء ومدي ازدياد نفوذ قبائل الكعوب وسيطرتها علي الجباية وفرضوا المغارم علي الرغبة دون رقيب أو حسيب نشعال الوزراء بحياتهم وصراعاتهم من أجل مناصبهم والسيطرة علي السلطان.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٥، العامري: المرجع السابق، ص ٨٨، مصطفى أبو ضيف أحمد: أثر العرب في تاريخ المغرب خلال عصري الموحدين وبنو مرين، مؤسسة شباب

الكعوب أشد من ثورة الأهالي علي شيخهم المقتول، فأعلنوا العصيان والثورة علي السلطان<sup>(١)</sup>.

وقاموا بالنهب والفساد<sup>(٢)</sup> وقام شيخهم أحمد بن أبي الليل باستقدام عثمان بن أبي ديوس الأمير الموحي الذي حاول القيام بأحياء الدعوة الموحدية بإعانة الأسبان وكان موجودا بنواحي طرابلس فبايعه، وخلع طاعة الحفصيين، وحاصر تونس، بعد ثلاث سنوات من الثورة والتفاني في محاربة جيش السلطان أبي عصيدة بقيادة الوزير أبي عبد الله بن يرزيكن الذي استطاع من هزيمة الثائرين وألقي القبض علي الثائر أحمد بن أبي الليل ومعه مسانديه<sup>(٣)</sup> من قبائل سليم<sup>(٤)</sup> وسار بالجيش الوزير أبو عبد الله في كل الجهات، وتسكين الثورات القتالية، وسرح ابن أبي دبوس، ونشر الأمن حتى اضطر أحمد بن أبي الليل من الخضوع والدعوة ومبايعة السلطان أبي عصيدة وهكذا استطاع الوزير أبو عبد الله بن يرزيكن من فرض كلمته وشخصيته علي السلطان أو عصيدة الذي لم يحرك ساكناً ضد الثوار، ولكن كان للوزير

الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ١٢٧.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٦، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، محمد حسن: المدينة والبادية، ج ١، ص ١١٧، مصطفى أبو ضيف أحمد: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، مصطفى أبو ضيف: المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، برنشفيك: أفريقية، ج ١، ص ١٤٧، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٦.

(٤) محمد حسن: المدينة والبادية، ج ١، ص ١١٧.

دوره الواضح في مكافحة والتصدي لثورات الكعوب حتى قضى علي ثوراتهم نهائياً وحافظ علي وحدة الأراضي الحفصية وعلي روح سلطانه أثناء الحصار.

ثم خرج الوزير بجيوشه مرة أخرى عام ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م إلي قبائل الكعوب من أجل القضاء علي عصيانهم ومنعهم من إثارة الفوضى والشغب<sup>(١)</sup>، وعندما وصل إلي هناك قبض علي شيخهم وبعث به إلي العاصمة تونس فاعتقل مع عمه أحمد، وجاهر أخوه حمزة بالنفاق وجعله شيخاً لقومه، فكثر فسادهم وأخذوا بالرعايا وكثرت منهم الشكاوي ولغطوا بالأسواق وتجمهروا بها<sup>(٢)</sup> فقام العامة بثورة عارمة انصب غضبها علي السلطان أبي عصيدة الضعيف ووزرائه الذين عجزوا عن إيقاف الشغب وإقرار الأمن، وهاجموا القصة محولين فتحها في رمضان ٧٠٨ هـ / ١٣٠٦ م من أجل الفتك بالوزير الحاجب ابن الدباغ<sup>(٣)</sup> وشفاء صدورهم لأنه هو المسئول عن تلك الفوضى والاضطرابات التي عمت البلاد، وتدخل السلطان أبو عصيدة في الأمر<sup>(٤)</sup>، وأمر بملاطفتهم إلي أن

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، العامري: المرجع السابق، ص ٨٨  
(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، محمد حسن: حركات العامة بمدن أفريقية في العهد الحفصي، فقال في كتاب المعنيون في تاريخ تونس، ص ٢٥٦

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٧، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، برنشفيك: افريقية، ج ١، ص ١٤٧، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٦، العامري: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٦-٧١٧، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٧، العامري: المرجع السابق، ص ٨٩.

سكنت ثورتهم<sup>(١)</sup> ثم تحقق من القائمين بهذه الثورة وعاقبهم، ولكن استمر الكعوب في الشغب والفوضى وإيذاء العامة مع عجز تام من السلطان والوزراء من القضاء عليهم في مختلف الجهات<sup>(٢)</sup>.

### خلاصة القول:

وهنا نجد علي الرغم من الدور الإيجابي للوزير أبي عبد الله في القضاء مؤقتاً علي ثورات الكعوب ولكنه نافق شيخهم الجديد وكذلك فعل الوزير الحاجب ابن الدباغ وعجزهم عن إيقاف شغب الكعوب فأدي إلي الثورة العارمة من العامة ضدهم وضد سلطانهم العاجز، وهذا يبين لنا قوة ونفوذ شيوخ القبائل.

#### دور الوزير ابن يرزيكن في مقاومة جيش سلطان بجاية أبو البقاء خالد:

عندما توفي السلطان الحفصي أبو عصيدة في ربيع الثاني سنة ٧٠٩ هـ / سبتمبر ١٣٠٩ م<sup>(٣)</sup>، ورفض وزراءه وكبار رجال دولته

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٧، وحاول رجال الجيش من التعرض لهم والهجوم عليهم بالخيول فرفض السلطان، وطلب منهم أن يدافعوا بقوة وهناك رأي من وراء السلطان بغلاق الأبواب وقتلهم بداخله فرفض السلطان، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٧، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٧، محمد حسن: حركات العامة، ص ٢٥٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٥٨، ابن المشاع: المصدر السابق، ص، ابن الضياف: المصدر السابق، ص ٢١٥، ابن السراح الوزير: المصدر السابق، ص ١٦٣، ابن القنفذ: الفارسية، ص.

المعاهدة<sup>(١)</sup> التي تعطي للأمير أبى البقاء خالد حكم الدولة الحفصية كلها، وجاءوا بالأمير أبى زكرياء الذي عرف بالشهيد سلطاناً عليهم من أجل المحافظة علي مناصبهم<sup>(٢)</sup> وبالفعل جعل أبابكر عبد الرحمن محمد ابن عبد الله بن يرزيكن علي وزراؤه، وأقر ابن الدباغ في منصب وزير الإنشاء والحجابة<sup>(٣)</sup>، وعند ترامت أنباء وفاة السلطان إلي الأمير أبى البقاء خالد، تحرك علي الفور بجيوشه قاصداً تونس من أجل الاستيلاء عليها وتوحيد الدولة<sup>(٤)</sup> وانضمت إليه قبائل أولاد أبى الليل<sup>(٥)</sup>.

وعندما وصلت جيوش أبى البقاء خالد علي مشارف مدينة تونس<sup>(٦)</sup>، كانت السلطة المركزية المتمثلة في الوزير ابن يرزيكن والوزير الحاجب ابن الدباغ في صراع بينهما من أجل السيطرة علي السلطان والحكم، والتنافس

(١) كانت هذه المعاهدة بعد أن فتح السلطان أبو البقاء خالد قسطنطينية فأرسل السلطان أبو عصيدة وفده من أجل التصالح فشرط عليهم السلطان أبو البقاء خالد أن من هلك منهما قبل صاحبه فالأمر من بعده للآخر والبيعة له فتقبلوا الشرط وحضر كبار رجال دولته ووزراؤه من بجاية وشهد الوزراء وكبار رجال الدولة بتونس، راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٩ - ٧٣٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣.

(٥) أولاد أبو الليل: نفس المصدر السابق والمجلد والجزء، ص ٧٣٣ - ٧٣٤.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ص ٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩، ابن القنفذ، الفارسية ص ١٥٤.

والعداوة بينهما كانت أشد والسلطان الضعيف في موقف لا يحسد عليه<sup>(١)</sup> فقام علي الفور بإقصاء ابن الدباغ عن الحجابة<sup>(٢)</sup>. وحدد إقامته بالسعدية، فخرج الوزير ابن يزريكن في جيش عظيم وانضم إليه أولاد مهلهل وطائفة من الأعشاس<sup>(٣)</sup> وركب معهم الشيخ أبو يعقوب بن يزريكن كبير الوزراء وبقي السلطان بالمدينة يترقب عما ستسفر عنه المعركة ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، حيث هزم جيشه وقتل وزيره ابن يزريكن<sup>(٤)</sup> وحرقة العرب بالثأر لمواقف كانت سابقة وتحرك السلطان أبو البقاء خالد وجيوشه إلى العاصمة فقابله السلطان الشهيد علي رأس جيش صغير وبعض المشاة في يوم الأربعاء ١٧ عام ٧٠٩ هـ / أكتوبر ١٣٠١ م والتقوا عند جامع الهواء ووقع بينهم قتلاً شديداً وهرب الناس إلى السلطان أبي البقاء خالد، فبقي الشهيد وحده فرمي تاجه من رأسه وفر هارباً<sup>(٥)</sup> حتى قبض عليه وقتل يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة ٧٠٩ هـ / ١٣٠٩ م بعد ولاية دامت

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩، المطوى السيطرة، ص ٣٠٧.

(٢) ابعد السلطان أبا بكر الشهيد ابن الدباغ عن رتبة الحجابة بسبب فساد ابن الدباغ واستعمال نفوذه بالأضافة إلى الحقد الذي كان يكنه له أيام السلطان أبو عصيدة، راجع. ابن خلدون:

العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨ - ٥٩.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٩.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٦٣، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن الوزير

السراج: المصدر السابق، ص ١٦٣، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٩

سبعة عشر يومًا<sup>(١)</sup>.

### وخلاصة القول:

نجد هنا أن الوزير ابن يرزيكن وكبير الوزراء أبي يعقوب بن يزودتن قاما بدور هام في الدفاع عن سلطانهم الصغير الضعيف إلى آخر لحظة حتى سقط ابن يرزيكن قتيلاً علي الرغم أن الوزير كان يمكنه الفرار فلماذا لم يهرب، فتكون الإجابة لو أنه هرب كانت سوف تتبعه جيوش السلطان أبي البقاء خالد لذلك حاول من الاستماتة في الحرب ضدهم وفي حالة الانتصار كان سيرتفع قدره أكثر من ذلك، بالإضافة إلى سيطرته علي السلطان وكذلك أمور الدولة المختلفة فلذلك قرر الموت في المعركة.

### دور الوزير الأكبر ابن اللحياني ضد الاحتلال الأسباني لجربه:

عندما فشلت السلطة المركزية الحفصية المتمثلة في السلطان الضعيف أبي عسيده ووزرائه المستبدين الذين فشلوا في السيطرة علي أمور الدولة وإيقاف الشغب وإقرار الأمن مما أدي إلي انحطاط وتدهور أحوال الدول وجعلها مطمعا للدول الأجنبية، مما جعل الوزير الأكبر ابن اللحياني يفكر في التخلي عن سلطانه، وجعل فكرة مساعدة ثوار جربه في التخلص من الاحتلال الأسباني فهب الوزير الأكبر لنجدتهم وقاد حملة عسكرية في يوم ٢٤ جمادي الثاني ٧٠٦ هـ / ٣١ ديسمبر ١٣٠٦ م بمحاصرة حصن القشتيل الذي كان بين

(١) ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ٢١٦، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٦٣ -

١٦٤، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن الوزير السراج: المصدر السابق، ص

أيدي النصارى ولكن بدون جدوى نظراً لمناعة القلعة وشدة استحكامها واستمر الحصار لمدة شهرين حتى نفذ الزاد وانقطعت الأقوات<sup>(١)</sup>.

وفشل في الاستيلاء على الحصن أو ربما لوصول إمدادات نصرانية للحصن<sup>(٢)</sup> ولم يكن لكبير الوزراء صورة طبق الأصل عن استحکامات حصن القشتيل وعن قوته الدفاعية، وعن قدرة من فيه علي مواصلة الدفاع ومقاومة الحصار لما ادخروا فيه من الأقوات والسلاح ومقدرين بعد المسافة وبطء المواصلات في تلك العصور ولكن الوزير لم يجد حلاً سوى الانسحاب وعاد إلى قابس ونزل عند ابن مكّي صاحب قابس ثم أتخذ الحج لينجو من الظروف المتدهورة للسلطة الحفصية والسلطان أبى عصيدة، ومعهده مع سلطان بجاية من أجل تسليم تونس له في حالة وفاة أبى عصيدة كما هو متفق بينهما<sup>(٣)</sup>، ولم يعرف بخروج كبير الوزراء للحج سوى ناس قليلون وخوفه من العامة صده عن رحلة الحج في وقت كانت الدولة تعيش فساد مظلّم وانهار، وهروبه من مسؤولية الحكم التي تدهورت بعد انهيار الدولة<sup>(٤)</sup> فقام الوزير الأكبر بإعادة الجيش إلى تونس ولم يذهب به إلى بلاد الجريد، وظل في قابس

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٠، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٣، التجاني: الرحلة، ص ١٢٨.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٢٩-٧٣٠، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، التجاني: الرحلة، ص.

(٤) المطوي: السلطنة، ص ٣٠١.

مدة وأنتقل إلى طرابلس ومن هناك انضم إلى ركب الحج المغربي<sup>(١)</sup>.

### دور الوزير الحاجب ابن غمر في ثورة أبي بكر الحفصي ضد أخيه أبي البقاء خالد:

كان لانحراف السلطان أبي البقاء خالد وإخلاذه إلى الملذات وانغماسه في الشهوات وفتكه بالكثير من رجال الدولة وزعماء القبائل والأعراب فسيطر عليه وزراؤه وازدادت الدولة ضعفاً علي ضعف وظهر منافسون له علي العرش الحفصي<sup>(٢)</sup> فقام الوزير الحاجب ابن غمر الذي كان يضمّر الغدر والعداء للسلطان الحفصي أبي البقاء خالد الذي عين أبا بكر الحفصي علي قسطنطينية بناءً علي رغبة وتوصية الوزير الحاجب ابن غمر<sup>(٣)</sup> الذي لتفق مع أبي بكر ويحرضه علي الثورة ضد أخيه، بشرط مساعدته مقابل أن يجعله حاجباً ووزيره الأكبر في حالة استيلائه علي العاصمة والسلطة الحفصية<sup>(٤)</sup>.

فارتاب السلطان في وزيره الحاجب وهذا ما شعر به ابن غمر من شك السلطان به فخاف من غمر به وقتله فهرب إلي قسطنطينية<sup>(٥)</sup> واندلعت الثورة في سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م حيث بادر ابن غمر إلي إعلان العصيان ووعي السلطان أبو بكر إليه فأجابه، وأخذ له البيعة وأعلن أبو بكر نفسه سلطان علي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٦، المطوي: السلطنة، ص ٣١١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦٠، المطوي: السلطنة، ص ٣١٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦٠.

أفريقية وتلقب بالمتوكل على الله وعسكر في قسطنطينية<sup>(١)</sup> وبادر علي الفور السلطان أبو البقاء خالد بتجهيز جيش لمحاربة الثوار وأخيه في قسطنطينية وجعل علي قيادته العليج ظافر الكبير وعسكر في بجاية بجيشه منتظراً فرصة الهجوم علي أبي بكر<sup>(٢)</sup> وقام الوزير الحاجب ابن غمر بتأليب زعيم مغراوة الثائرين علي أبي البقاء<sup>(٣)</sup>.

ولكن فشل في أخذ البيعة من حاكم بجاية أبي عبد الرحمن بن يعقوب بن الخلف الذي تمسك بدعوه سلطان تونس أبي البقاء خالد<sup>(٤)</sup> وهنا فكر الحاجب الوزير ابن غمر في السلطان المنهك الضعيف في سيطره علي بجاية والاستيلاء عليها<sup>(٥)</sup> ومقاومه عبد الرحمن بن يعقوب مقاومة شديدة مستميتة وتمكن في بادئ الأمر من التغلب علي أبي بكر وأقصاه إلى ميله<sup>(٦)</sup> وكان الوزير أبو زكرياء بن علام صهره هو ابن الخلف حاكم بجاية الذي طلب منه المقاومة ضد الثائر والوزير الحاجب<sup>(٧)</sup> إلى أن ظهر أبو زكرياء اللحياني في تونس وادرك ما وصلت إليه الدولة من ضعف وتردى أحوالها منذ أن اعتلى أبو البقاء خالد العرش واخذ البعض يحرصونه علي الاستيلاء علي تونس<sup>(٨)</sup>

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، ٧٣٨، المطوي: السلطنة، ص ٣١٤

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٧، ٧٤١

(٣) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨ - ١٥٩

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٨

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٩

(٦) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٩

(٧) المطوي: السلطنة، ص ٣١٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٣٩

(٨) المطوي: السلطنة، ص ٣١٦

وقام الوزير الحاجب ابن غمر بتحريره على غزو تونس ويسهل عليه أمرها، وما أصبح عليه أبو البقاء خالد من ضعف وانصراف الى الهو والملذات، وتكدر نفوس العامة منه<sup>(١)</sup> وانتهت الثورة عندما دخل ابن اللحياني العاصمة وتنازل أبو البقاء خالد عن العرش<sup>(٢)</sup> واستمر ابن الغمر يشجع ويغري سلطانه لغزو تونس في عهد ابن اللحياني ووضع له الخطه من أجل السيطرة على تونس، وجهز للسلطان جيشاً كبيراً يضمن للسلطان الانتصار على ابن اللحياني، وكان يهدف الوزير الحاجب إلى الاستيلاء على بجايه وبالفعل ترك بجايه تحت نفوذ وسيطره ابن غمر<sup>(٣)</sup>.

### الوزير الاكبر أبو زكرياء بن أبي علام ودفاعه عن العاصمة تونس:

عندما اتحدت أهداف أبي بكر الحفصي مع ابن اللحياني ضد أخيه أبي البقاء خالد، فأرسل حاجبه الوزير ابن غمر إليه يحرضه ويقوى عزمه من أجل الزحف إلى تونس بجيشه والاستيلاء على الحكم<sup>(٤)</sup> فتوافدت عليه زعماء قبائل الكعوب من أولاد أبي الليل وغيرهم<sup>(٥)</sup>، وعندما أتم الاستعداد تحرك جيشه بقياده وزيره الأكبر أبي عبدالله محمد بن محمد المزدوري<sup>(٦)</sup>، وسبق

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٤١-٧٤٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٩، الزركشي: المصدر السابق.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠-٧٤٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٠.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٠، ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢.

(٦) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٩.

الجيش أولاد أبو الليل لاستكشاف الطريق<sup>(١)</sup> وعندما وصلت الاخبار لأبى البقاء خالد ارسل الى قائده ظافر جيشًا يستحثه على المقاومة والحرب<sup>(٢)</sup> والتقى الجيشان ودارت بينهما معركة دامية وهزم جيش أبى البقاء خالد وتم القبض على قائد جيشه ظافر الكبير وواصل جيش ابن اللحياني بقياده وزيره إلى تونس للاستيلاء على الحكم، وقابله بالمقاومه والصمود وزير أبى البقاء خالد وهو الشيخ أبو زكرياء بن أبى علام، الذى أعد العدة من أجل الدفاع عن العرش الحفصى المنقسم إلى ثلاثة سلاطين<sup>(٣)</sup>، ودارت معارك عده بين الجيشين في جماده الآخره ٧١١هـ / ١٣١١م أثبت فيه الوزير ابن أبى علام مهارته الحربية ومدى شجاعته في المواقف الصعبة من أجل الدفاع عن سلطان الضعيف المستهتر ولكن كان لوزير ابن اللحياني وقائد جيشه كلام آخر حيث حقق الانتصار على جيوش وقوات ابن أبى علام وقتله<sup>(٤)</sup> واستولى وزير ابن اللحياني على القصر ثم جاء أبو يحيى اللحياني في ثاني رجب ٧١١هـ / ١٣١١م واستولى على الحكم<sup>(٥)</sup> وهنا نجد ان وزيراً قتل من اجل الدفاع عن منصبه وآخر يتنصر من أجل الحفاظ على منصة والسيطرة على السلطان الجديد.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، الزركشى: المصدر السابق، ابن القنفذ: الفارسية ص ١٦٠

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠، المطوى: السلطنة، ص ٣١٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، المطوى: السلطنة، ص ٣١٦

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦- ج ١٢، ص ٧٤٢، ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٦٠، المطوى: السلطنة، ص ٣١٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، ابن القنفذ: الفارسية: ص ١٦٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٩، المطوى: السلطنة، ص ٣١٨.

وهنا نلاحظ ان الوزراء اشتدوا في اثبات الذات من أجل المناصب والمحافظة عليها، فلجأ كل منهم إلى اثبات كفاءته من أجل السيطرة على السلاطين الضعاف الذين اعطوا الفرصة لتلاعب بهم والسيطرة على أمور البلاد.

### دور الوزراء الحجاب في زيادة حركات التمرد وضعف الدولة بعد هروب اللحياني:

عندما توفي السلطان المستنصر دخلت الدولة الحفصية في نفق مظلم من الفتن والثورات الداخلية الدامية، والانقسامات داخل صفوف الأسرة الحفصية وسيطرة الوزراء على السلاطين الضعاف<sup>(١)</sup> حيث ظهرت حكومات محلية مستقلة وتفاقم خطوره ودور الاعراب في التحكم بالسلطة الى حد كبير واصبحت الحدود مهددة بالخطر بل متعرضة لاعتداءات ملوك تلمسان، واستولى النصارى من الخارج على الجزر التونسية وتدخلوا في شئون الحفصيين الداخليه فعندما تولى أبو يحيى أبى بكر (١٣١٨ هـ / ١٣٤٦ م) واجه كثير من الصعوبات متواصلة، حيث لعب بعض الوزراء الطموحين او خصوم السلطان الاعداء ومعهم بعض المطالبين بالعرش في كل مكان من الدولة، ونجحوا أحياناً في السيطرة على العاصمة<sup>(٢)</sup> فنجد من الوزراء من استقل بحكم مدينة مثلما فعل الوزير الحجاب ابن غمر حيث ظل مستبدًا ببجاية مكتفياً بذكر اسم السلطان أبى بكر الحفصى في الخطبة، وقام بضرب اسمه على

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٢.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٧ ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٦ -

٧٥٧، المطوى: السلطنة: ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

السكة دون أن يقدر سلطانه على محاربته أو عزله<sup>(١)</sup>.

وظل ابن غمر مستبداً ببجاية وحاول السلطان استرداد بجاية مره أخرى عندما ارسل قائده ابا عبد الله محمد للاستيلاء عليها ولكن ابن غمر استطاع رده ودحره، فطلب من السلطان ان يمدّه بالعسكر والسلاح فأجابه، ورضى عن السلطان وجعل له بجاية وقسطنطينه، فاستبد به ولكن كان سداً منعيّاً ضد هجمات بنى زيان بقيادة سلطانها العبد الوزى أبو حمو موسى الذى حاصر المدينة عام ٧١٩ هـ ولكن ابن غمر صمد فى وجهه وجعله يعود ادراجه الى مكانه دون ان يتمكن من احتلال بجاية، ثم توفى ابن غمر بعد ذلك بمرض الزمه الفراش حتى مات فى شوال سنة ٧١٩ هـ<sup>(٢)</sup> وعندما توفى ابن غمر جعل السلطان ولديه محمد على بجاية، وعقد ليحيى على قسطنطينه رغم صغر سنهما، مما جعله يتخلى عن حاجبه ابن القالون ليكون مع ولديه على ان يقيم فى بجاية، ويكون صاحب النفوذ على كل من بجاية وقسطنطينه حتى يكون سد منيع ضد اى هجوم زيانى<sup>(٣)</sup>.

وسيطر الوزير على الجيش فى بجاية وقسطنطينه وأمور تلك المنطقة بسبب صغر الأميرين، وكان صاحب الكلمة الاولى فى كل شىء<sup>(٤)</sup> مما أثار الحقد والضغينة لدى خصومه من وزراء السلطان بتونس، فبثوا فيه السعايات<sup>(٥)</sup> مما

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧-٨٥٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٨-٨٥٩.

(٥) المطوى: السلطنة، ص ٣٣٥.

جعله لا يشعر بالاستقرار والاطمئنان في منصبه الجديد<sup>(١)</sup> وبالفعل نجحت حاشية السلطان من وزراء وغيرها من عزله من منصبه<sup>(٢)</sup>، وكان لوزير الاشغال أبى القاسم بن عبد العزيز، وكذلك ابن عبد العزيز المزوار دورهما في عملية عزله، وتولى محمد بن سيد الناس على بجايه، مما جعل ابن القالون يقوم بمحاولة العصيان والثورة على السلطان، ولكن مشاعر المناصرين في قسنطينة لم تستجب لتحريضاته، فقلب لهم ظهر المجن واتهمهم بالتآمر على السلطان أبى بكر، وبعث بهم الى تونس نكاية منهم وتنكيلاً بهم<sup>(٣)</sup>.

ولكن السلطان أبا بكر اكتشف حقيقة الأمر ونبه ابن القالون للحاقدين عليه، وحاول تغطيه ذلك باتهامه لمشايخ قسنطينة، ولكن السلطان لم يظهر لابن القالون شيئاً عندما استدعاه الى تونس، بل أمر الامر في نفسه حين قدوم الفرصة المناسبة لتخلص منه<sup>(٤)</sup>.

ولكن انتهز الوزير الحاجب محمد بن القالون فرصه زحف محمد بن أبى عمر إلى تونس، لملاقاة السلطان أبى بكر في سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م، وتحالفًا سويًا ضد السلطان، والتقت اهدافهم ضد السلطة الحفصية، وكانت هذه الحملة مفاجئة للسلطان ووزرائه وجيوشه، التي لم تمكنه من صد ذلك

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٩، المطوى: السلطنة، ص ٣٣٥.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٩.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦١، المطوى: السلطنة، ص ٣٣٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦١.

الزحف<sup>(١)</sup> حيث سعى وزراء السلطان بالسعاية والشكوى من ابن القالون، حتى تبين للسلطان انحرافه وخيائته، وعندما علم ان الوزير ابن عمران دعاه للانضمام لهم والتخلي عن أبي بكر سلطان تونس وعندما خرج السلطان هاربًا تخلى عنه ابن القالون، ودعى الى بيته ابن أبي عمران الذي دخل المدينة وأخذ ابن القالون البيعه العامه له بينما بدأ السلطان أبو بكر من الاستعداد من اجل استرداد المدينة من بين يدي أبي عمران والوزير الخائن له، فأعد جيشه ونظمه وحشد كل قواته، وزحف على تونس وجرت بينه وبين خصومه عدة معارك أنهت باستيلائه على تونس في صفر ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م.

واستلمت وزراء ابن أبي عمران في الدفاع عن المدينة وقتل كبير وزرائه أبا عبدالله بن أبي بكر الذي ظهر دوره في هذه المعركة من اجل البقاء في منصبه وكذلك فعل ابن القالون<sup>(٢)</sup> ودخل السلطان أبو بكر العاصمة بعد انتصاره ولكنه لم يستمر البقاء في الحاضره تونس سوى اربعين يومًا فقط لأن ابن أبي عمران تمكن من الاستيلاء على العاصمة مره أخرى بمساعدة الاعراب وقائدهم حمزه بن عمر المسيطره على ابن أبي عمران، وغادر السلطان أبو بكر بصحبه وزرائه الى مكانه المعتاد قسنطينه لترقب جيوشه<sup>(٣)</sup> وبعد ثمانية شهور<sup>(٤)</sup> استطاع بعدها من دخول تونس في صفر ٧٢٣هـ/ فبراير ١٣٢٣م<sup>(٥)</sup>

(١) المطوى: السلطنة، ص ٣٤٠

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦٣، المطوى: السلطنة، ص ٣٤٠.

(٤) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦.

(٥) المطوى: السلطنة: ص ٣٤١، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦.

وقضى السلطان أبو بكر ووزرائه على محمد ابن أبي جزيه وأنصاره من الأعراب وبنى زيان في شعبان ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م، فولوا الأدباء الى تلمسان<sup>(١)</sup> ومازال دور الوزير الحاجب محمد بن القالون مستمراً مع كل امير حفصي يحاول الاستيلاء على تونس، وبالفعل استطاع الانضمام إلى إبراهيم بن الشهيد أبي بكر بن أبي خطاب الحفصي واستطاعوا من الاستيلاء على تونس في رجب ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م، فأنصب إبراهيم بن الشهيد سلطاناً على تونس واتخذ على وزرائه وحجابه محمد بن القالون ولكن تمكن السلطان أبو بكر من استرداد المدينة بعد اشهر قليلة من الاحتلال الذي أثبت فيه وزراء السلطان كفاءتهم القتالية واستطاعوا من استعاده واسترداد المدينة منهم بعد ان تخلى عنه مساعديه من سلاطين في والاعراب<sup>(٢)</sup>.

واستمر الصراع بين الوزراء على المناصب مع استمرار الصراع بين السلاطين والأمراء على الحكم حيث كان للوزير ابن سيد الناس دوره في قتل الوزير الحاجب ابن القالون عندما أوصى مشايخ قفصه ان يقبضوا على حاشيته وموالى ابن القالون حتى انهال المرتزقة عليه وطعنوه بالخناجر إلى ان مات<sup>(٣)</sup> واستمر السلطان أبو بكر ووزرائه في مقاومه المطالبين للعرش، ولكن جاءت الخيانة مرة أخرى من أقرب وزرائه إليه هو محمد بن سيد الناس الذي اختلف مع السلطان، فذهب إلى منزل أبي فارس عبدالعزيز وحرضه على العصيان والثورة ضد أخيه وغادر المدينة لإثارة الاعراب ضد السلطان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٦٤، المطوى: السلطنة، ص ٣٤١.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٣٤١، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦، ١٧٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٧٢.

ومساندة أبى فارس عبدالعزیز، وما ان علم السلطان أبو بكر حتى جهز له جيشاً بقياده القائد محمد بن الحكيم وزير الجند، الذى لم يجد صعوبة تذكر فى القضاء على هذا الامير المدعى حيث حاصر جيشه المكون من العرب والنصارى البيت، ولما امتنع عن الاستسلام فاقتحموا عليه البيت وقتلوه طعنا بالرماح، وأتوا بجثته إلى العاصمة ودفن بها<sup>(١)</sup>.

### دور وزراء السلطان أبى بكر الحفصى فى القضاء على ثورة ابن عبد الجليل:

عند استبد يحيى بن محمد بن عبد الجليل من بنى عابد بقفصه، توجه السلطان أبو بكر الحفصى ومعه وزراؤه إلى هذه المنطقة لردّها إلى أحواز السلطة الحفصية فقام السلطان ووزراؤه بمناصبه المدينة الحصار أياماً بالمنجنيق<sup>(٢)</sup> وصمد الثائر وجنوده داخل المدينة ولم يستجيبوا لنداءات السلطان الحفصى، فلجأ السلطان ووزراؤه إلى التهديد بقطع النخيل والأشجار إذا استمر الثائر ورجاله فى الصمود وعدم الاستسلام مما جعلهم يشعرون بالخطر ويخافون من سوء العاقبة وأيقن ابن عبد الجليل بأن الدائرة ستكون عاياه من الاهالى إذا أصرّوا على مواصلة المقاومة وبقائه وحده فى الميدان، فأضطر إلى الاستسلام والخروج للسلطان أبى بكر، وطلب الامان فأمنه السلطان وبعث به مع حملة من قومه بنى عابد إلى تونس، كما فر الكثيرون من اسرته إلى قابس حيث يوجد ابن مكى المستبد بها، وسلك

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢١، ص ٧٧٤، المطوى: السلطنة، ص ٣٤٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٨٦، ابن الشّاع: المصدر السابق، ص ٩٠، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٨، المطوى: السلطنة، ص ٣٥٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ٧٢.

السلطان مع بقيه الناس سلوك طيب فشلهم بعطفه وإحسانه، وأحسن إليهم بالإسهام والاقطاع وتجديد ما بأيديهم من المكتوبات السلطانية<sup>(١)</sup> ثم ولى عليها ابنه أبى العباس وجعل له كبير وزراؤه أبى القاسم بن عتو وزيراً له<sup>(٢)</sup> الذى استطاع ان يقضى على بنى مدافع المستبدين بنفطه حيث قضى على جذورهم وجعلهم آية للمعتبرين<sup>(٣)</sup>.

### الوزير ابن الحكيم وخروجه على السلطان أبى بكر:

كانت المهديه ضمن أحواز سلطان تونس ولكن المدعو ابن عبد الغفار استطاع الاستيلاء عليها وخلع طاعة السلطان وأعلن العصيان والخروج على السلطة المركزية المتمثلة فى السلطان الحفصى ووزراؤه فأمر وزيره ابن الحكيم بالخروج الى المهديه وردها إلى حظيرة الدولة الحفصية، وبالفعل استطاع من الاستيلاء على المدينة عام ٣٣٩هـ/ ١٣٣٩م<sup>(٤)</sup>.

يذكر ابن خلدون أنه عندما تم تعيين محمد بن تافراجين على الوزارة وحجب السلطان فأنكر ذلك وظن ان السلطان كان يجب عليه اختياره هو أو ابن القاسم بن وارن مما جعله يترك فتوحاته فى بلاد جبل اوراس وعاد إلى الخضره فأمر السلطان ابن تافراجين بالقبض عليه<sup>(٥)</sup> ولكن استطاع الوزير ابن

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٨٦، المطوى: السلطنة، ص ٣٥٨

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٨٦

(٣) المصدر السابق، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٩.

(٤) ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢١٩، ابن دينار: المؤنس، ص ١٦٦، برنشفيك: المرحع السابق، ج ١، ص ١٨٨.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٨، المطوى: السلطنة، ص ٣٥٨. راجع ابن

تافرا حين من القبض على محمد بن الحكيم وعذبه بالسياط وأخذ جميع أمواله. وقيل أن الذهب الذي أخذ منه وزنه خمسين قنطاراً سوى القصبة والمجوهرات والياقوت وغيرها<sup>(١)</sup> ولم استصفا أمواله خنقه بمحبسه في رجب عام ٧٤٤ هـ وهرب ولده مع انه إلى المشرق<sup>(٢)</sup>.

### دور وزراء السلطان أبو بكر في إخضاع بني مكى:

كان بنو مكى قوة وسكينة وشوكة قوية للدولة الحفصية واستطاعوا من فرض سيادتهم على قابس وجهاتها، وبلغت مطامح عبد الملك بن مكى أكثر من ذلك عندما ساند عبدالواحد بن اللحياني وهاجموا مدينة تونس وأصبح ابن مكى وزير وحاجباً لابن اللحياني، ولكن لم يدم ذلك الاخمسة عشر يوماً أذفر ابن اللحياني ووزيره عبدالله بن مكى إلى معقلة بقابس<sup>(٣)</sup> وخوفاً من بطش السلطان أبو بكر، فذهب ابن مكى إلى السلطان أبي الحسن المرينى لتوسط له لدى السلطان ابا بكر. واستجاب السلطان المرينى لرغبة وقام بالواسطه أبو بكر الحفصى عنه واقرة على رئاسته بقابس بعد أن أشار عليه وزراؤه بذلك<sup>(٤)</sup>.

وبإقرار عبد الملك بن مكى على قابس وإعلانه الانقياد للسلطة المركزية

خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٧-٧٩٨.

(١) ابن خلدون / العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٨، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، ابن الشاع: المصدر السابق، ص ٩٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٩٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ١٨٠؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٢٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠١؛ المطوى: السلطنة، ص ٣٦٠.

الحفصية ازداد نفوذ الدولة الحفصية عامة ونفوذ ولى العهد الامير أيا العباس ووزيره أبى القاسم بن عتو الذى لعب دوراً هاماً فى تمهيد المنطقة الجنوبية وتوطيد اركان الاستقرار والولاء فى جميع نواحيها<sup>(١)</sup> وبهذا استطاع السلطان وزراء السلطان أبى زكرياء من مساعدته فى تحقيق حلم الامير الحفصى أبى العباس ولى العهد عندما أصبح كامل الجنوب تحت نفوذه، كما تحققت خطة السلطان أبى زكرياء فى أن تصبح السلطنة الحفصية بكاملها موزعة على ابنائه يتولون شؤونها ولو ولو تحت كفالة وزراءهم أصحاب الخبرات السياسية العليا<sup>(٢)</sup>.

### وزراء السلطان أبى بكر الحفصى والتنافس بينهم واضطراب امور الحكم:

كان للتنافس الشديد بين الوزراء الحفصيين دوره فى إضعاف شوكة الدولة واحداث الاضطرابات داخل الدولة، فعندما تولى الوزير الاكبر محمد بن تافرا حين الوزراء والحجاية للسلطان أبى بكر ومثل الوزير ابن الحكيم، أصبح ابن تافرا حين مفوض فى كل شىء، فعقد على الوزراء لأخيه أبى العباس أحمد، وقدمه إلى قياده الجنود فى الحروب وأماره الضلحية، مما أثر قبائل بنى سليم فثاروا وأعلنوا الخلاف والعناد بعد مقتل حمزه بن عمر رئاسهم وكان سحيم من أولاد القوس بن حكيم<sup>(٣)</sup> حائق على ذلك وشجعه على ذلك الوزير والحاجب لولى العهد أبو القاسم بن عتو، فكان يناهض بنى تافراجين فى الزعامة والشرف وينافسهم فى المناصب والنفوذ، فحرض سحيم على قتل

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠١.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٣) ابن خلدون العبر: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٢.

الوزير أبى العباس بن تافرا حين وزير الجند، وعندما خرج عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م لجباية هواره فوفد عليه سحيم وقوه وضايقوه فى الطلب، ثم انتهزوا الفرصة بعض الايام وهجموا عليه، فانفض جنوده من حوله ووقع من على فرسه فقتل وحملوا شلوه إلى الحضرة فدفن بها واعلن سحيم الثورة والعصيان ضد السلطة الحفصية<sup>(١)</sup>.

### الوزير ابن تافراجين وبنى مكى:

عندما عاد ابن تافراجين من الحج إلى إفريقية بصحبة عمر بن حمزة زعيم أولاد أبى الليل من عرب الكعوب الذى لقيه أثناء الحج، وعادا سوياً واتفقا على التظاهر على السلطان الحفصى أبى الفصل، وتمكن عمر بن توحيد صفوف أولاد أبى الليل تحت طاعته، واتفقوا على التحرك إلى العاصمة وطلبوا من السلطان عزل. الوزير الحاجب ابن عتو وتعين ابن تافراجين فرفض السلطان، ولكنهم لجأوا إلى الخدعه والمكيدة ومكروا بالسلطان الفضل الحفصى، فأوهموه جميعهم إلى عقد صلح خارج المدينة، وانخدع السلطان ووافق على ذلك ولكنهم أحاطوا به وبحاشيته، واعتقلوهم وأذنوا لابن تافراجين بدخول تونس وبسط سلطانه عليها فى ١١ جماد الاولى سنة ٧٥١هـ / يوليو ١٣٥٠م<sup>(٢)</sup> وحينئذ أعلن لوزير الحاجب ابن تافراجين، عزل الفضل الحفصى، ومبايعه أحد أخوته وهو أبو إسحاق إبراهيم ابن أبى بكر الحفصى فأجلسه على كرسى الخلافة وكان لايزال صبيًا صغيرًا، واصبح السلطان الرسمى للبلاد وابن

(١) ابن خلدون العبر: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٣

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٧، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١٠١، ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢٢٥-٢٢٦.

تافراجين هو المتحكم في أمور الدولة ومصالح البلاد كلها<sup>(١)</sup>.

ولكن هذه الأوضاع لم تعجب ابن مكي صاحب قابس وجربه فأعلن التمرد والعصيان، وسخط على الوزير الحاجب ابن تافراجين لاستبداده بالسلطان ومنعه من التصرف في أمور دولته لوجود عدوة قديمة بينها.

وحاول ابن مكي إيجاد كل فرصة لاقضاء ابن تافراجين عن الوزار هو القضاء على نفوذه<sup>(٢)</sup> بل قام بنو مكي بتأليف الرأي العام ضد ابن تافراجين وسلطانه الصبي، فاتصلوا بأولاد مهلهل خصوم اولاد أبي الليل ومنافسيهم في رئاسة الكعوب<sup>(٣)</sup> فوجدوا استجابة كبيرة من جهتهم واشتد أزر أولاد مهلهل بتحلفهم مع بنى حكيم من قبائل علاق، وشرعت هذه القبائل المتحالفة لشن الغارات على تونس العاصمة وضواحيها دون أن تتمكن من التغلب على ابن تافراجين وإزالة سلطانه الصبي، فقاموا بالاتصال بشخصيه حفصيه أخرى، فأختاروا ابازيد عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر الحفصي حاكم قسنطينة فذهبوا إليه وأخذوا يشجعونه على التحرك إلى الحضرة واستخلاص ملك آبائه من الوزير المستبد والسلطان الصبي<sup>(٤)</sup> فاستجاب لإغراءات القبائل، فأرسل جيشاً تحت قياده العليج ميمون صحبة القبائل المتحالفة<sup>(٥)</sup> وتحرك الجيش صوب تونس وعندما ترامت هذه

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٨، الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٢، ابن الشماغ: الادله، ص ١٠١-١٠٢، ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ٢٢٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، المطوى: السلطنة، ص ٤١٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٣، المطوى:

الأبناء للوزير الحاجب ابن تافراجين، فجهز قواته أقوى تجهيز واستعد جيداً للحرب وأرسل جيشه تحت قياده قتيبة ابن أبي الليل لصد هذا الهجوم، والتقى الجيشان في بلاد هواره شرقي القطر الجزائري، فكانت الهزيمة لأولاد أبي الليل وسقط قتيبة قتيلاً في المعركة، وتولى أخوه خالد بن حمزه الجيوش التي عادت إلى تونس، وامتدت عساكر التحالف في البلاد، وجبوا الأموال ووصلوا إلى تونس ثم قفلوا إلى قسنطينة<sup>(١)</sup> واستمر ابن مكى في تحريض أبي زيد عبد الرحمن في غزو إفريقية وطرده ابن تافراجين والسلطان الصبي وعاهده على امداده بالأموال والسلع وعطايا الأعراب وجمع القبائل معه فاستجاب له مره أخرى وبالفعل وصل ابن مكى وجيوشه من القبائل الى قسنطينة، قابله أبو زيد عبد الرحمن وقلده منصب الحجابة والوزاره، وجعل له إداره شئون الإمارة واستعداد لدخول تونس، وقام ابن تافراجين يجهز جيشاً ليس تحت قيادته ولكن جعل القيادة للسلطان الطفل الملقب بالمستنصر بالله وذوده بالعتاد والرجال وجعل معه في القيادة الشيخ محمد بن نزار والتقى الجمعان في مرماجنة(\*) ولكن لقي جيش الوزير ابن تافراجين الهزيمة وفروا منهزمين وهرب السلطان الصبي إلى تونس مع بعض جنوده<sup>(٢)</sup>.

السلطنة، ص ٤١٧.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٢، المطوى:

السلطنة، ص ٤١٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٥.

(\*) مرماجنة: احدى بلاد هواره بصحراء المغرب الاوسط على مقربه من الاريس، وهى مدينة قديمة أزليه، اشتهرت بوفره الخيرات ومزارع القمح والشعير، راجع: مجهول: الاستبصار،

ص ١٦٢؛ الادريسي: المصدر السابق، ص ١١٨

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، المطوى: السلطنة، ص ٤١٦، السيد كمال

أبو مصطفى: دراسات، ص ٧١.

وتتبع جيش التحالف بقيادة ابن مكى وابو زيد عبد الرحمن فلول المنهزمين حتى وصلوا الى اسوار تونس، وحاصروها اياما ولكن امتنعت عليهم فرحلوا الى القيروان ثم الى قفصة<sup>(١)</sup> وأخيرا عندما أحسوا بالخطر تهدد ولايته عاد اليها، حيث شجع ابن تافراجين اباعنان المرينى للاستيلاء على قسنطينة من ناحيه والامير أبو عبدالله محمد الحفصى صاحب بجايه يريد هو الآخر الاستيلاء على قسنطينة وبذلك فشل التحالف القبائلى بقياده بنى مكى وأبو زيد بن عبد الرحمن صاحب قسنطينة<sup>(٢)</sup>.

### الوزير ابن تافراجين ودوره فى استرداد جربه من بنى مكى:

عندما استقل أحمد بن مكى بجزيرة جربة وأصبحت خاضعة لنفوذه وسيطرته حتى نقم اهلها على ابن مكى بسبب تعسفهم وقسوتهم عليهم، فبعثوا الى ابن تافراجين بتونس مندوبًا عنهم سرًا، فانتهازها الوزير فرصة حقيقية للانتقام من عدوة الدود واسترداد جربه الى الدولة الحفصية واسترجاع وحدة اراضيها<sup>(٣)</sup> فقام على الفور بتجهيز جنوده وجيوشه من اجل هذا الهدف، وجعل على رأس هذا الجيش ابنه محمد بن تافراجين الذى تمكن من

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٣٠، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٣،

المطوى: السلطنة، ص ٤١٩، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات، ص ٧١

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٣٠-٨٣١، النعيرين بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا، دار الكتاب المصرى واللبنانى، ١٩٧٩، ص ٧٥-٥٨، الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٣، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٤٦، ابن الجيلانى الجربى: علماء جربة تحقيق محمد قوجة، دار الغرب الاسلامى، ج ١١، بيروت ١٩٨٩، ص ٤٧، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٤، المطوى: السلطنة، ص ٤٤٥، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات، ص ٧٥.

النزول بجربه وشدّد الحصار على قلعتها ثم افتتحها عنوة، واستولى بذلك على جزيره جربه عام ٧٦٣هـ وأقام بها الدعوة للسلطان أبي اسحاق الحفصي ثم عاد إلى تونس ثم ولى عليها محمد بن أبي العيون<sup>(١)</sup> وباسترجاع أبي عبدالله محمد لمدينة جربة عادت الدولة الحفصية إلى ذويها من بنى حفص ولكن ظلت الدولة مقسمة مثلما كانت قبل الاستيلاء المريني عليها فبجايه يتولاها أبو عبدالله محمد، وقسنطينة عليها ابن عمه أبو العباس أحمد أما تونس فكان يتولاها عمهما أبو اسحاق<sup>(٢)</sup>.

### الوزير الحاجب محمد بن تافراجين وعصيانه السلطان أبي اسحاق:

عندما توفي الحاجب الوزير ابن تافراجين سنة ٧٧٦هـ / ١٤٦٤م وشيع السلطان أبو اسحاق جنازته في مشهد لا ينسى من ذاكرة التاريخ حيث وقف السلطان على قبره باكيا<sup>(٣)</sup> وكان ابنه محمد خارج العاصمة يمهد الاحوال ويجمع الجبايه من بلاد الساحل، وعندما علم بوفاة والده أساء الظن بالسلطان أبي اسحاق الحفصي، وشك في نواياه من إبعاده عن النفوذ وينتقم منه، ولهذا قرر عدم الخضوع للسلطان أبي اسحاق وأعلن العصيان وعدم الطاعة،

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٤٧ الشيخ سليمان بن أحمد الجيلاني الجربى: المصدر السابق، ص ٤٧، الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠١، محمد أبو راس الجربى: مؤنس الاحبه في أخبار جربة، طبعة تونس، ١٩٦٠، ص ١٠٣ هامش؛ راضوان البارودي: جزيه جربه التونسية نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٣٢-٣٣.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٤٦، برنشفيك: المرجع السابق، ص ١١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٦؛ الزركشي: المصدر السابق، ص ١٠١، المطوى: السلطنة، ص ٤٦٧.

وأرسل ماكان معه من جند الى العاصمة، وتحرك للبحث عن مساندين وحلفاء آخرين ضد السلطان، فأرسل صاحب المهديّة وجربة الذين كان يتوقع استجابتهما له، ولكن كان ردهما بالرفض، فأحس السلطان أبو إسحاق بضروره السيطرة على ابن تافراجين الابن خوفاً من ازدياد نفوذه بالارسال اليه وأمنه وجلبه إلى الحضرة فلم يجد محمد ابن تافراجين من يقبل عرض السلطان بعد ان تخلى عنه صاحب المهديّة وجربه فقبل العودة الى السلطان أبى اسحاق وتلقاه السلطان بالبر والترحيب وقلده حجابته ووزراؤه وانزله مراتب العز والتنويه<sup>(١)</sup> وسرعان ما ساءت العلاقات بين السلطان أبى اسحاق ووزيره الحاجب محمد بن تافراجين لأنكاره ما فعل السلطان به من تهميش لدوره وخرج السلطان للناس، فأظلم الجو بينهما ودبت بينهما عقارب الوشايه والسفاهيه من المنافسين له من الوزراء، فهرب ابن تافراجين إلى قبائل لولد مهلهل فاستمالهم اليه الأصغاء على كلمته<sup>(٢)</sup> وذهبوا معه إلى قسنطينة واستقر عند السلطان أبى العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر الحفصى، وأخذ يدعوه لغزو تونس والاستيلاء عليها، ومدى تردى الاوضاع التى تساعده فى الاستيلاء عليها.

**وخلاصة القول، نجد أن الوزراء لعبوا دوراً هاماً سواء في القضاء على الفتن والثورات أو في إشعال نار الفتن والثورات في وجه السلطة الحفصية.**

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٦، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٧٦، الزركشى:

المصدر السابق، ص ١٠٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٥٧، المطوى: السلطنة، ص ٤٧٠.

## الوزراء والبيعة ونظام وراثة العرش

تعرف البيعة <sup>(١)</sup> بأنها العهد علي الطاعة، فالمبايع يعاهد ولي أمره علي أنه يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك ويطيعه فيما يكلفه به من أمور <sup>(٢)</sup> وعلي الرعية حسن الطاعة وصدق المؤازرة والتعظيم له، وترك الخلاف وعدم الخروج عليه <sup>(٣)</sup> وكان نظام الحكم في الدولة الحفصية قائماً علي نظام الوراثة، الذي يعطي الحق لولي العهد في تولي عرش البلاد، واعتبر هذا النظم الوسيلة الأساسية لتولي الحكم، فكان السلطان الحفصي يختار من يناسبه من أبنائه ليكون والياً للعهد <sup>(٤)</sup> وكانت البيعة في الدولة الحفصية تتم لوالي العهد علي مرحلتين، وهما البيعة الخاصة حيث يبايع فيها

(١) البيعة: جمعها بيعات، فيقال بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعه ومعناها المعاقدة والمعاهدة وهي شبيهة البيع الحقيقي، القلقشندي: صبح الاعشي، ج ٩، ص ٢٨١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ج ١، ص ١٧٤.

(٣) أبو الحسن الماوردي: نصيحة الملوك، تحقيق فؤاد عبد المنعم احمد، مؤسسة شباب الجامعة والاسكندرية، ١٩٨٨، ص ٩٧ ولقد مجد الله سبحانه وتعالى البيعة وحض المسلمين علي احترام من يبايعونه، لان مبايعة أولي الأمر تعتبر مبايعة لله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا (١٠)﴾ صدق الله العظيم سورة الفتح، الآية (١٠) ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٥٩)﴾ النساء، الآية (٥٩) راجع الماوردي: المصدر السابق، ص ٦٧-٦٨، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٧٠.

(٤) منى سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١٩٧.

أهل الحل والعقد من شيوخ الدولة ووزرائها ولي العهد<sup>(١)</sup> وذلك عندما يحلف الأشياء والوزراء والقضاة والأئمة يمين الطاعة والولاء.

ثم يقوم ولي العهد الحلفان أمامهم علي حسن السير<sup>(٢)</sup> لأن السلطان الحفصي كان يختار من هو الأكثر كفاءة وجدارة بممارسة السلطة وتسيير شئون الدولة<sup>(٣)</sup> وإذا تم أخذ العهد علي الوزراء وشيوخ الدولة والعلماء والقضاة والأئمة تبدأ المرحلة الثانية وهي تقديم ولي العهد للناس من أجل مبايعته، والاحتفال به، حيث تقرر الطبول إعلانا بذلك، ويقوم الخطباء بالدعاء لولي العهد بعد الخليفة أبيه في خطبة يوم الجمعة علي جميع منابر مساجد الدولة<sup>(٤)</sup> وبعد أن يصبح الأمير الخليفة الرسمي الشرعي تستقر الأمور، ويتولي شئون الدولة لأنه صاحب أعلى سلطة في البلاد، لأنه ممثل السلطة المركزية من الناحية الإدارية، فهو صاحب الكلمة الأولى في تعيين الولاة للحرف، وخاصة المدن الكبيرة تكون من نصيب أبنائه<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٠، الحريري، تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٠ - ٢٦٢، مني سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٠، مني سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٣) المطوي: السلطنة، ص ١٦٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٠.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨، ٣٠، الوزان، وصف أفريقيا، ص ٤٥١، أحمد ابن أبي الضياف: المصدر السابق، ص ١٧٣، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٠.

(٥) كان سلاطين بن حفص يختارون أكبر أبنائهم لتولي إدارة المدن الكبرى، فنجد ذلك واضحا عندما عقد أبو زكرياء لابنه أبي يحيى زكريا علي ثغر بجاية وجعل له النظر في سائر أعمالها من

وانعكست قوة السلطان علي الوزراء، فإذا كان السلطان قويا ومسيطرًا علي رجال دولته من التدخل في شئون الحكم، ولكن هذا لم يمنع الوزراء وكبار الدولة الذين تدخلوا في اختيار ولي العهد عندما يتوفي السلطان (الخليفة) الضعيف دون أن يعين له وريثًا، مما أثار وأشعل الوزراء ورجال الدولة المستبدين فيقوموا بأخيار الخليفة<sup>(١)</sup> وذلك حسب ما يروق لهم ويجعلهم في مكانه اعلي من الدولة الحفصية وأكثر استبدادًا علي أمور الحكم. وهو ما حدث عندما تولي محمد بن أبي عبد الله أبي الحسين الوزراء فسيطر علي السلطان أبي زكرياء الحفصي حتى غلبه علي هداه وسيطر علي مقاليد الحكم، وكرر الوزير نفس الاستبداد والسيطرة علي المستنصر بالله الذي ساعده علي ذلك حتى تنكر له، وقبض عليه، بحجة مداخلة الوزير لأبي القاسم بن مخدومة أبي زيد بن الشيخ أبي محمد؛ فاعتقله السلطان لمدة تسعة أشهر بعدما عاد ومكانة من مكانة وقضي علي أعدائه<sup>(٢)</sup> واستولي علي أمور السلطان المستنصر لا يشاركه في الأمور احدى؛ فعلت سطوته وسيطرته ولم

---

الجزائر وقسطنطينية وبونه والزاب. راجع ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٦١٩-٦٢٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٥، الحسن الوزان، المصدر السابق ص ٤٤٥، ٤٥١، أحمد بن الضياف، إتخاف الزمان، ج ١، ص ١٦٤. نلاحظ أن نظام الحكم في الدولة الحفصية مثله مثل باقي الدول الاسلاميه من حيث النظام الوراثي للحكم بعيدا عن الشورى التي أوصي بها الإسلام.

(١) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ١٦٥، ص ٤، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٧٠، مني سيد عبد العزيز، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٢، المطوي: السلطنة الحفصية، ص ١٧٨

يفعل السلطان الحفصي شيئاً حتى توفي الوزير عام ٦٧١هـ<sup>(١)</sup>.

ولكن استمر تدخل الوزراء في اختيار ولي العهد واخذ البيعة له، وذلك في نهاية عهد المستنصر الذي لم يعين ولي للعهد رغم مرضه الشديد؛ ولكن عندما توفي المستنصر قام الوزير سعيد بن يوسف بن أبي الحسين بأخذ البيعة للسلطان الواثق يحيى بن المستنصر حيث بايعه الموحدون وجميع الناس علي مختلف طبقاتهم<sup>(٢)</sup> في ليلة وفاة والده؛ ثم تتبع الناس لبيعته تحت إشراف الوزير ابن أبي الحسين<sup>(٣)</sup> الذي كان له أغراض شخصية تعود عليها، وترفع من شأنه ورفع ثروته وتزيد من نفوذه داخل الدولة، وذلك لمعرفته بان السلطان الجديد (ولي العهد) يحيى بن الواثق ضعيف الشخصية وقليل التدبير ووهن العزيمة<sup>(٤)</sup> وأصبح ألعبوبة في أيدي رجال دولته<sup>(٥)</sup> الأقوياء الذين كان لهم تأثير واضح علي ولاية العهد واختيار الخلف؛ حيث ظهر التضامن بين الوزراء والشخصيات الأندلسية الهامة التي احتضنها البلاط الحفصي ومنحهم المناصب الحساسة في الدولة؛ وساد التآمر والغدر من اجل المناصب واكتساب النفوذ<sup>(٦)</sup> وظل حتى قام الفقيه أبو الحسن يحيى بن أبى مروان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٢٤

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٦، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن القنفذ:

الفارسية، ص ١٣٤.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، المطوي السلطنة، ص ٢٣٠.

(٥) ابن القنفذ الفارسية، ص ١٣٥.

(٦) المطوي: السلطنة، ص ٣٣٠.

الأندلسي الحميري المشهور بالخير<sup>(١)</sup> بالقبض علي هذا الوزير أبي عثمان سنة ٦٧٦ هـ واستولي علي أمواله، وظل الوزير تحت العذاب والضرب حتى توفي في ١٢ ذي الحجة من نفس العام<sup>(٢)</sup> يوم الخميس<sup>(٣)</sup> وأخرجت جثته إلي دار صاحب الشرطة؛ ووجهت إلي خادميه ابن صياد وابن ياسين؛ وقيل لهما هذا صاحبكما قد مات، وطلب منهما معرفة أماكن ثرواته وكنوزه فأنكرا ولكن ابن ياسين قدم مالا وأطلق سراحه، ولكن ابن الصياد ورجاله رفض وقتل تحت العذاب<sup>(٤)</sup>.

وهكذا استمر أيضا تدخل الوزراء في اختيار ولاية العهد، وكان السلطان الحفصي أيضا يختار واليا للعهد أثناء حكمه، وهذا ما فعله السلطان أبو إسحاق عندما عين أكبر أبناءه وهو أبو فارس وليا للعهد وأيده في ذلك وزراؤه ابن أبي هلال الهتاني كبير الوزراء ووزير المالية أبو القاسم أحمد بن الشيخ<sup>(٥)</sup> وأحمد بن سيد الناس صاحب المكان الأولي لدي السلطان الحفصي الوزير الحاجب المسيطر علي ولي العهد والمخطط له والقريب منه مما جعل باقي الوزراء يشعرون بالغيرة اتجاهه، فانتشرت بين الوزراء الوشيات والغيرة

(١) كان الفقيه أبو الحسن يحيى كبير الإعجاب بنفسه مفرط التعسف، مشتغلا بأمور الفخامة والبناء وأنواع الملابس واقتناء الذخائر، وكان السلطان الوائق ألعوبة في يده.

راجع ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٤ - ١٣٥، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٧٤ - ٧٥

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٧٨، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٣٥، الزركشي: المصدر السابق: ص ٤١.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤١، ابن القنفذ: الفارسية، المطوي: السلطنة، ص ٢٣٣

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١١.

من مركز وسلطة ابن سيد الناس<sup>(١)</sup> وكان قرب هذا الوزير من ولي العهد والسلطان الحفصي سببا في قتله<sup>(٢)</sup> فجعل ولي العهد مستاء لهذا العمل الإجرامي استياءً كبيراً بسبب حبه الشديد لوزيره الخاص ابن سيد الناس مما جعل السلطان يقدم لولي عهده التعازي ويظهر له حزنه الشديد لمقتل ابن سيد الناس واسترضي ولي عهده وبين له أن سبب القتل هو أن ابن سيد الناس كان يفكر في قلب نظام السلطة ويقضي علي العائلة الحفصية محاولاً إقناعه بالقتل<sup>(٣)</sup> ولكن تطورت الأحداث في نهاية السلطان الواثق عندما تجرد ولي العهد من العطف والإقدام. ومنع والده من دخول قصره بيجاية حتى يتنازل له عن السلطة وكل شيء، وأشهد عليه الملاء من الموحدین بيجاية<sup>(٤)</sup> وبايعوا أبا فارس عبد العزيز بتنازل والده الطريد من الحكم.

ولعب وزيره<sup>(٥)</sup> وصاحبه الجديد محمد بن أبي الحسين ومحمد بن خلدون والوزير بن الفازازي دوراً كبيراً في تنازل السلطان عن الملك ومبايعة السلطان الجديد أبي فارس عبد العزيز<sup>(٦)</sup> ووصل الضلال في البيعة أشده في تونس عندما هرب السلطان أبو إسحاق منها ودخلها الدعي أبو عماره حيث بايعه

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٤، المطوي: السلطنة، ص ٢٤٠.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٤، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١١٢.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٨٥، ابن الخطيب: الإحاطة، المطوي: السلطنة، ص ٢٤١.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٩٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٢.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٤، ٤٨.

(٦) المطوي: السلطنة، ص ٢٥٠.

الناس علي انه الفضل بن أبي زكرياء يحيي الواثق الحفصي، ولكنه لا يمت للبيت الحفصي بصله، ولكنه استعمل القسوة هو وكبير وزرائه موسى بن ياسين ووزيره أبو محمد عبد الحق بن تافراجين ضد الناس، فبايعه الجميع<sup>(١)</sup>، ولكن السلطان عمر الحفصي كانت لبيعته مذاق خاص عندما أحيا الدولة الحفصية وأعاد إليها ملك إفريقية، وذلك عندما انتصر على ابن أبي عماره بمساعدة وزرائه محمد بن القاسم بن إدريس الفازازي، أبي الحسن بن أبي بكر بن سيد الناس ومحمد بن بكر بن خلدون<sup>(٢)</sup> فقاموا بأخذ البيعة له يوم الأربعاء ٢٥ لربيع الآخر ٦٨٣ هـ / ١٢٨٤ م<sup>(٣)</sup> تلك البيعة التي حققت الأمن لافريقية الحفصية والعدل والسلام للناس<sup>(٤)</sup>.

ولكن السلطان أبي عمر الحفصي عندما اشتد عليه المرض في آخر أيامه لم يكن قد عين وليا للعهد، ووصل الأمر إلى تعيين طفل لم يبلغ الحلم وليا للعهد من بعده، وتكون الفرصة سانحة إلى الوزراء من أجل السيطرة علي السلطان الصغير. ولكن هناك من اعترض علي الطفل من أهل الشورى الموحيدين وأعلنوا عن عدم رضاهم عن ذلك الاختيار، فبلغ السلطان اعتراضهم<sup>(٥)</sup> فكان هذا السلطان حريصا علي مصلحة البلاد فعدل عن تولية ابنه بعد عشرة

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٤.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٢٦٧.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٠ - ٥١، المطوي: السلطنة، ص ٢٦٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٢١.

(٤) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٢١، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٤٨.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٣، ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ١٥٢، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٢.

أيام من إعلانه ولايته للعهد، وهنا لم يلجأ السلطان إلى وزرائه وحاشيته وهم الحل والعقد وإنما لجأ إلى الشيخ المرجاني الذي رشح له أبا عصيدة<sup>(١)</sup> ولكن سعي الوزراء إلى تعيين الطفل عبد الله بن عمر الحفصي<sup>(٢)</sup>.

ولكن عندما توفي السلطان أبو حفص اجتمع الملاء من الموحدين والأولياء والجند كافة من أجل البيعة لمحمد الواثق أبي عصيدة الذي لم يكن أكثر تمييزاً عن ابن أبي حفص عمر، حيث كان أيضاً طفلاً لا يتحمل أي مسؤولية<sup>(٣)</sup> مما جعله ألعبوبة في أيدي وزرائه حيث كان سنه عندئذ لم يتجاوز الخمس عشرة سنة<sup>(٤)</sup> واشتد الصراع بين وزرائه حتى قتلوا ابن السلطان عمر الحفصي للتخلص منه خوفاً من مطالبته للعرش وتفويت الفرصة على من يساندونه للعرش الحفصي مثل الوزير أبي محمد عن الحق بن سليمان الذي قبض عليه أيضاً وزج به في السجن، وانفرد الوزير الأكبر أبو يحيى زكرياء بن اللحياني بالسلطان الصغير وتدير شؤون الدولة<sup>(٥)</sup>.

وهنا نجد أن البيعة أصبحت مصدراً من مصادر انهيار الدولة حيث

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٤، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٢، ابن الضياف: المصدر السابق، ص، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٢.

(٢) المطوي: السلطنة، ص ٢٨٧، برنشفيك: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٣) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٢، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٢، ابن القنفذ: الفارسية، ص ٥٤.

(٥) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ٥٤، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٢١٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٢، المطوي: السلطنة، ص ٢٨٨.

الصراع بين الوزراء علي من يتولي فكل وزير له ولي عهد يريد إن يحكم الدولة الحفصية من اجل أن يتحكم فيه الوزير ويتحكم في جميع أمور الدولة وفي الانقسام الحفصي بين تونس وبجاية نجد أن أبا زكرياء يحيي صاحب بجاية المنشق عن العاصمة تونس، كان يري نفسه أحق بالسلطة من غيره، وعند وفاته عهد بولاية العهد إلي ابنه أبى البقاء خالد وأخذ وزراء والده البيعة له<sup>(١)</sup> وهنا نلاحظ أن البيعة مقسمة في الدولة الحفصية فهناك بيعة تتم في تونس العاصمة وبيعه أخرى تتم في بجاية اكبر من الثانية للدولة الحفصية وكل وزراء سلطان حفصي يريدون السيطرة علي الأخرى حتى يسطرو علي جميع البلاد الحفصية، وللوزراء دور هام في كل بيعه فنجد أن الأمير أبو زكرياء جمع وزرائه وكبار الموحدين وطبقات الجند وبايعوا أبا البقاء خالد ثم بويع البيعة العامة<sup>(٢)</sup> وعندما توفي السلطان أبو عصيدة قام شيوخ الموحدين والوزراء بمبايعة احد أبناء عمومة السلطان الراحل يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الآخر ٧٠٩ هـ وهو شخص حامل الذكر ضعيف الشخصية من ذرية السلطان أبى زكرياء الأول يدعي أبو يحيي أبو بكر زيد عبد الرحمن بن أبى يحيي أبى زكرياء، وقام الوزراء بنقض الاتفاقية المبرمة سابقا مع السلطان أبى البقاء خالد من توحيد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٨، الزركشي: المصدر السابق، ص، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٧، المطوي: السلطنة، ص ٢٩٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٨. فنجد أبى البقاء خالد جعل يحيي بن أبى علام وزيرا، وابن أبى يحيي حاجبا له، وكبير الوزراء أبا زكريا يحيي ابن زكرياء، وعبد الرحمن يعقوب بن خلوف وزيرا. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٨.

الدولة الحفصية<sup>(١)</sup>.

وكان الهدف من هذه البيعة المحافظة علي مناصبهم وخوفهم علي أنفسهم<sup>(٢)</sup> وكان للحاجب الوزير ابن الدباغ والوزير ابن يريكن<sup>(٣)</sup> دور واضح وكبير في بيعه السلطان أبي زكرياء عبد الرحمن وكانت هذه هي البيعة الخاصة، ولم تتحدث المصادر عن البيعة العامة لأهل تونس والأقاليم للسلطان أبي بكر بن عبد الرحمن، وذلك قد يكون سبب وصول السلطان ابن البقاء خالد إلى مشارف العاصمة تونس من أجل توحيد الدولة والاستيلاء علي الحكم، وعندما انتصر السلطان أبو البقاء خالد علي السلطان صاحب البيعة أبي بكر بن عبد الرحمن وقبض عليه وقتله<sup>(٤)</sup>، جلس للبيعة في حضور الموحيدين والقضاء وسائر أشياخ القبائل ومشايخ القبائل الحفصية من أجل مبايعته، ثم قام بتعنيفهم بسبب نقضهم للصالح الذي كان بينه وبين السلطان أبي عبيدة<sup>(٥)</sup> وتمت له البيعة العامة بعد بيعته في قسنطينة وبجاية<sup>(٦)</sup>.

وهنا نلاحظ دور الوزراء في التلاعب بنظام البيعة، فنجدهم يلجئون إلي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨،

برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، المطوي: السلطنة، ص ٣٠٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٢.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، مقلد

غنيمي، موسوعة المغرب، ج ٥، ص ٥٥، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٦.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٢، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن

القنفذ: الفارسية، ص ١٥٦.

(٦) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ١٥٦.

نقض المعاهدة بين سلطان بجاية و سلطان تونس، وذلك لضعف السلطان وصغر سنه، واستغلوا النظام الوراثي للعرش، وكانوا يختارون سلاطين صغر السن ليس علي مستوي المسؤولية<sup>(١)</sup>.

وهكذا استطاع السلطان أبو البقاء خالد من توحيد المملكة الحفصية بعد أن فشل في تحقيقها بالطرق السلمية وتلقب بالناصر لدين الله<sup>(٢)</sup> وما كاد أبو البقاء خالد أن يوحد السلطة الحفصية حتى ظهر له منافسون علي العرش الحفصي وذلك بسبب انحرافه وفساد أخلاقه وسلوكه، واخلاده إلي اللذات، والانغماس في الشهوات وقضائه علي الكثير من رجال الدولة وزعماء القبائل<sup>(٣)</sup> حتى اضطربت أحوال البلاد فكان ذلك موافقا لنزول أبي يحيى زكرياء بن أحمد اللحياني علي طرابلس عائدا من الحج، فدعي لنفسه، فبويع بعد أن توافدت عليه القبائل العربية من كل جهة منهم زعماء الكعوب من أولاد أبو الليل<sup>(٤)</sup> فأخذ لنفسه وزراء وحجابًا، حيث جعل أبا عبد الله محمد بن محمد المزدوري كبير الوزراء<sup>(٥)</sup>، وأبو زكرياء يحيى بن علي حاجبًا، والمدعو محمد وزير الأشغال

(١) ابن الأهر، روضة النسرين، ص ٣، النفحة النسرينية، ص ٥٥، السلاوي، الاستقصا،

ج ٤، ص ٣، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٧

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦٠، ابن

القنفذ: الفارسية، ص ١٥٦- ١٥٧، ابن الشعاع، المصدر السابق، ص ٨٤، هامش ٥

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٦، برنشفيك، المرجع السابق، ج ١، ص ١٥٨،

المطوي: السلطنة، ص ٣١٦.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠، ابن الشعاع، المصدر السابق، ص ٨٥،

مقديش، تحفة الأنظار، ج ١، ص ٥٦٣.

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٠، ابن الشعاع، المصدر السابق، ص ٨٥.

المالية، ومحمد بن إبراهيم التجاني وزيرا للقلم (كاتب العلامة)<sup>(١)</sup> وظهر أبو بكر الحفصي أيضا أخو السلطان أبو البقاء خالد في قسنطينة وأعلن نفسه سلطانا للحفصيين وتلقب بالمتوكل علي الله عام ٧١١ هـ / ١٣١١ م، وسعي إلى احتلال بجاية ولكنه فشل في ذلك بسبب شجاعة وولاء ابن خلوف وقوته ومكائنه في الدولة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا أصبحت الدولة الحفصية منقسمة إلى ثلاثة أجزاء بين ثلاثة من الحفصيين كلهم أخذ لنفسه البيعة وجعل له وزراء وحجبا ورجال دولة، وجميعها نسب لنفسه الأحقية والشرعية في الاستيلاء علي الحكم<sup>(٣)</sup> وساند أبو بكر صاحب قسنطينة ابن عمه ابن الليحاني في طرابلس ضد أخيه أبي البقاء خالد في تونس، بسبب تكدر وغضب الناس منه بسبب سوء تصرفاته فأرسل صاحبه يعقوب بن غمر إلى ابن الليحاني للاستيلاء علي تونس ويشد من عزمه ويسانده، وسلمه هديه من السلطان أبي بكر صاحب قسنطينة<sup>(٤)</sup> فقام علي الفور بالتحرك بجيش يقوده وزيره الأكبر محمد بن محمد المزدوري ومعه أيضا قبائل أولاد أبي الليل يتحركون إلى تونس<sup>(٥)</sup> فاعترضهم جيش السلطان أبي البقاء بقيادة مولاة ظافر الذي وقع واعتقلوه وأصبحوا علي مشارف العاصمة

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢-٧٤٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٨.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٩.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، المطوي: السلطنة، ص ٣١٦.

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، ابن

الشماع، المصدر السابق، ص ٨٥.

تونس في الثامن من جمادي الآخرة سنة ٧١١هـ / ١٣١١م وجرت بين الطرفين معارك عديدة، قتل فيها وزراء السلطان أبى البقاء وكبار رجال دولته<sup>(١)</sup> وعلي الفور دخل الوزير الأكبر أبو عبد الله المزدوري إلى قصر الإمارة وتمكن من اعتقال السلطان أبا البقاء خالد، بعد أن استسلم واشهد علي نفسه بالتنازل عن الحكم وحل البيعة التي عقدت له، ولكن كل ذلك لم يشفع له فقتله الوزير قبل وصول السلطان الجديد ابن اللحياني<sup>(٢)</sup> الذي كان الوزير الأكبر للسلطان أبى عصيدة سابقا وهنا نلاحظ أن أبا البقاء خالد قد تنازل عن الحكم ولم يبايع أحدا، وكان ذلك يوم الخميس وذلك بعد إن أشار علي قاضيه ابن عبد الرافع<sup>(٣)</sup>، فنصح به بخلع نفسه وخلع بيعته من اجل النجاة بنفسه ولكنه لم يبايع أحدا<sup>(٤)</sup> وكان يوم الجمعة هو ثاني وصول الوزير الأكبر المزدوري إلى تونس وهنا خطب خطيب الجامع الزلاج بالجبل الشرقي بدون أن يذكر اسم سلطان وبيعته<sup>(٥)</sup>، هل هو إن اللحياني، أم هو أبو بكر، وهذا يدل علي مدي الفوضى السياسية التي أحلت بالدولة الحفصية ومدي ضعف السلاطين الحفصيين واستبداد الوزراء لهم.

وفي يوم الأحد الثاني من رجب عام ٧١١هـ / ١٣١١م وصل السلطان

(١) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٩، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٢، ابن الشاع، المصدر السابق، ص ٨٥،

مقديش: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٦٣، ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص، اللوحة

البدرية، ص

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٠، أبو إسحاق، ابن عبد الرافع

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٦١

(٥) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٦٠، الزركشي: المصدر السابق، ص ٦١-٦٢

ابن اللحياني إلى العاصمة تونس، وبويع البيعة العامة بمنزل المحمدية وسلم له الأمر بتونس وأرسل الحاجب أبا عبدالرحمن بن غمر إلى سلطانه صاحب قسنطينة أبي بكر بعد أن عقد معه هدنة بمقتضاها يكون من حق بجايه للسلطان أبي بكر، وانقسمت الدولة الحفصية إلى قسمين أحدهما في تونس والآخر في بجاية، وهنا نجد أن البيعة العامة لا بد أن يبينها باسم السلطان في خطبه الجمعة وهذا يدل على فرض السلطان الحفصي وجوده على جميع الاقاليم التابعة لدولته، بالإضافة إلى وضع اسمه على السكه الخاصه بالدولة، وذلك يعنى أنه هو السلطان الشرعى للدولة الحفصية وهنا نلاحظ ما وصلت إليه الدولة من انهيار وتلاعب الوزراء بالبيعة من أجل كسب السلطان والسيطرة عليه، وهرب السلطان ابن اللحياني ولم يجعل له والياً للعهد، لأن ابنه كان مسجوناً، فقام وزراؤه وكبار رجال دولته بإطلاق سراحه وبايعوه البيعة الخاصة<sup>(١)</sup> ثم بويع البيعة العامة عندما دخل إلى تونس، في منتصف شعبان عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م وأصاب الوزراء الحفصيين<sup>(٢)</sup> بالضعف مثل سلاطينهم لأن الذى أخذ البيعة العامة للسلطان أبى ضربه هو حمزه بن أبى الليل وكانت هناك بيعه أخرى في تونس من قبله واثناء خروجه من تونس حيث دخل السلطان أبو بكر المدينة ودعا ابن غمر بن أبى الليل الملائليعة ولكنهم ترددوا في البيعة بعض الشيء انتظاراً لما سوف يسفر عنه وضع أبى

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٠

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥١، الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٥، المطوى: السلطنة، ص ٣٢٨.

ضربه السلطان الآخر<sup>(١)</sup> وكثرت البيعة وتكررت ثم يهزم السلطان ووزراؤه، ويظهر السلطان المستنصر ويعتلى العرش مره أخرى ويتجدد له البيعه وذلك بسبب اشتداد التنافس والحقد بين الوزراء وبعضهم البعض فكل منها يريد من يساعده سلطاناً لينعم بالسلطة والمال<sup>(٢)</sup> واشتد التنافس بين سلاطين الدولة الحفصية الثلاث لبنى بكر في تونس، ومحمد ابن أبى ضربه خرج منها وهزم<sup>(٣)</sup> وابن اللحياني والده في طرابلس<sup>(٤)</sup> وظل الوزراء يحركون السلاطين كبيادق الشطرنج<sup>(٥)</sup> وهجر ابن اللحياني وأخذت البيعه من بعده في طرابلس لأبى عبدالله بن عمران<sup>(٦)</sup>.

واستمرت البيعة يحاصرها وزراء الدولة الحفصية من أجل اتمام السيطره على السلطان وظلت البيعة إبان تلك الفترة شديده الاضطراب متداوله لمن يستطيع دخول تونس وطرد الآخر حيث ظهرت الفتن والثورات<sup>(٧)</sup> ومع ظهور امير جديد تنقسم البيعه بينهما فظهر عند عوده عبدالواحد اللحياني إلى افريقيه نزوله طرابلس نزل على قبائل دياب بالجنوب التونسي ثم اعلن نفسه سلطاناً حفصياً وبايعه عبدالملك بن مكى المتولى على قابس ثم بايعه الاعراب

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥١

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٢٣٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨١.

ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥١-٧٥٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٨، الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٥.

(٤) المطوى: السلطنة، ص ٢٣٧-٢٣٩.

(٥) لبن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٥٥.

(٦) Mas latrie, op.cit., ١٦٤

(٧) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٧٦، المطوى: السلطنة، ص ٣٤٢.

من كل ناحيه<sup>(١)</sup> وقام على الفور مبيعاً عبد الملك بن مكى وزيراً وحاجباً له<sup>(٢)</sup>، ثم ارسل حمزه بن عمر زعيم الكالوب بيعته إلى عبد الواحد بن اللحياني فقويت شوكته<sup>(٣)</sup> قام بهاجمه تونس في شوال عام ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م كان السلطان أبو بكر الحفصي عائداً من المسيلة، واستطاع حبس عبد الواحد من الدول إلى مقر الحكم الحفصي وبصحبه وزرائه وقائد جيشه محمد البطرني<sup>(٤)</sup> وعندما شعر عبد الواحد بقدوم جيش أبي بكر الحفصي ودخل السلطان أبو بكر الحفصي مدينه تونس في عيد الفطر ٧٣٢هـ واستقبله السكان بالحفاوة وجددوا له البيعه، وهنا نجد ان هذا السلطان بايعه اهل تونس سبع مرات لأن المدينه والبيعه لم يعرفا طعم الاستقرار<sup>(٥)</sup>.

وبقوة ونفوذ الوزراء تحولت البيعه ووليته العهد من امير حفصي إلى أمير آخر، فنجد انه بعد وفاة السلطان أبي بكر الحفصي استطاع الوزير ابن تافراجين من تحويل البيعه وولايه العهد من السلطان وولى العهد أبو العباس أحمد إلى أبو حفص عمر الذي اعلن نفسه سلطاناً وتلقب باللقب الخليفى ((الناصر لدين الله))<sup>(٦)</sup> وقام الوزير ابن تافراجين بدعوة شيوخ الموحدين

(١) قابس بحث ضمن دائره المعارف التونسية في بيت الحكمه، قرطاج تونس، ١٢٩، عدد ٤، ص ١٠٦، المطوى السلطنة، ص ٣٤٩.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٩.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ٩٩، ابن الشاع: الادله، ص ٩٠.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٩، المطوى: السلطنة، ص ٣٥٠.

(٥) الزركشى: المصدر السابق، ص ٦٩، ابن الشاع: الادله: ص ٨٩.

(٦) الزركشى: المصدر السابق، ص ٨٠، ابن مرزوق: المسند، ص ٣٥٦.

والموالى وطبقات الجند بعد وفاه السلطان أبى زكرياء الحفصى<sup>(١)</sup> وطلب منهم مبايعة أبى حفص عمر، فرد عليهم القاضى ابن عبدالسلام وقاضى الأنكحه بأنهما شهدوا على اخيه أحمد صاحب قفصه، وطلبوا من الوزير السلطان بإعطائهما شهادتهما بمبايعة اخيه ليقطعوها، فهاج الحضور وماجوا وهم جلوس فى الكبرى.

فأمر الوزير ابن تافراجين الا يخرج أحدًا من القبة حتى يبيعوا عمر الحفصى، ولكن رفض القاضيان، فستدعى وجوه وشيوخ الموحدين وبعض كبار البلد بعد أن فرغ من دفن السلطان وبايعوا السلطان عمر الحفصى ودقت الطبول والبوقات والسلام ليعلنوا مبايعه عمرو الحفصى<sup>(٢)</sup>، فقالوا ما هذا فليل لقتد بايع الناس الأمير عمرو استدعى القاضيين ومن معهما ليشهدا تمام البيعة وانعقادها من الحشود الضخمة فكتبت وثيقة بعقد البيعة للأمير عمر لأختيار العامة والخاصة لولى العهد<sup>(٣)</sup> وهنا كان للوزير ابن تافراجين دور كبير غير مسبوق لمبايعة عمر الحفصى والبيعة من صاحبها الاصلى أبى العباس أحمد صاحب الحق والسلطان

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٧، الزركشى: المصدر السابق، ص ٨٠، المطوى: السلطنة، ص ٣٧٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٨، الزركشى: المصدر السابق، ص ٨٠، مقديش: نزاهة القطار، ج ١، ص ٥٢٦، المطوى: السلطنة، ص ٣٧٢، ابن القنفذ: الفارسيه، ص ١٦٨.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ٨٠، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٨، ابن خلدون: العبر، مج ٥، ص ١٢٥-١٢٦، عاشور شامه: المرجع السابق ص ٩١، المطوى: السلطنة، ص ٣٧٢، الغنيمى: موسوعة المغرب ٣، ج ٥، ص ٢٥٧، عبدالهادى التازى: التاريخ الدبلوماسى، ج ٧، ص ٢٨، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٦.

على الدولة الحفصية، فأصبحت البيعة والحكم لمن امتلك القوه والسلطان المتمثله في وزير قوى ذكى، وتحولت البيعة عن طريق مؤامره دبرها الوزير اب تافراجين لقائد سلطانه أبى حفص عمر<sup>(١)</sup>.

ولم تستمر هذه البيعة وقتاً طويلاً حتى خرج الامير أبو العباس أحمد بن أبى بكر على رأس جموعه الضخمة في غرة شعبان عام ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م والتقى مع جنود أخيه السلطان المؤقت أبى حفص عمر ووزيره فخاف الوزير على نفسه ورجع إلى تونس ناجياً بنفسه ثم ركب الى المغرب الأقصى، ولما سمع السلطان الحفصى أبو حفص عمر خبر هروب ابن تافراجين اختلت وصاف قواته وتركه جنوده، فهرب هو الآخر وانضمت جنوده إلى الامير أبى العباس فملك تونس يوم السبت التاسع لشهر رمضان ٧٤٧هـ وتلقى البيعة العامة والخاصة، واسترد بيعته وسلطانه على العرش الحفصى<sup>(٢)</sup> لمساعدته وزيره وحاجبه ابن عتو الذى جلس على باب الرياض الدخلانى في خارج دار السكة يسلم الناس عليه ويهتئونه<sup>(٣)</sup> ولم تستمر هذه البيعة سوى أسبوعاً واحداً حتى عاد السلطان أبو حفص عمر الى العاصمة فجددت له البيعة مرة أخرى<sup>(٤)</sup>

(١) المطوى: السلطنة، ص ٣٧٢.

(٢) الزركشى: المصدر السابق: ص ٨١، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٤ ١٥٥، القلشندي: صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٢٥-١٣٦، ابن مرزوق: المسند، ص ٣٥٦، عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص ٩١، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٩٩، ابن أبى الضياف: اتحاف، ص ٢٢١.

(٣) ابن الشماخ: الادله، ص ٩٣.

(٤) ابن أبى الضياف: اتحاف، ص ٢٢٢، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٩٣، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٥، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٦٧، ابن

وهكذا استمرت الاضطرابات والصراعات واستمرت البيعه بين الشد والجذب بين القوة والضعف بين الكر والفر في أيام كانت من اصعب اوقات الدولة الحفصية بسبب ضعف السلاطين وقوه الوزراء.

كان هذا التحالف القبائلي بسبب استيلاء أبي الحسن المؤيني على تونس، وأضعف شوكة القبائل واستولى على اقطاعها وسلب منهم كثيرا من امتيازاتهم واعتقل شيوخ هذه القبائل عندما دبروا مؤمره ضده فتحركوا لايجاد سلطان حفصي للثوره له ضد الحكم المريني.

واثناء الاستيلاء المريني على تلمسان أخذت القبائل شكلاً جديداً، حيث كانت القبائل هي صاحبه الكلمة وليس الوزراء فأصبحت قبائل سليم من بنى كهب وبنى حكيم مع اولاد مهلهل في توزر وتعهدوا على الاستماتة، وأهدروا الدماء بينهم، وتبايعوا على الموت<sup>(١)</sup> وبحثوا عن شخصيه حفصيه يساعدونها فوجدوا أحد أحفاد عبد المؤمن بن علي الذي كان يشتغل خياطاً، فذهبوا إليه وبايعوه بالحكم وعاهدوه على الاستماتة من أجل الاستيلاء على الحكم<sup>(٢)</sup> وقاتلوا

خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٠٩

(١) راجع ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٨-١٥٩، ابن دينار:المصدر السابق، ص ١٩٩، الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٣، الانصارى:فهرست الرصاع، ص ٣ هامش، الكفيف الزرهونى:الخلعيه، ص ١٨-٢٠، مصطفى أبو ضيف:المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١، جوليان:المرجع السابق، ص ١٨٤، محمد الطحار:تاريخ الادب الجزائري، ص ٨٥.

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٤٧، الزركشى:المصدر السابق، ص ٨٤، السلاوى:الاستقصا، ج ٣، ص ١٦٣.

السلطان ابا الحسن المرينى وجيوشه دفاعاً عن بيعتهم بالقرب من القيروان وحاصروه وهزموا جيوشه<sup>(١)</sup>.

ولكن لم تفلح البيعه بدون انضمام وزيراً له فوجدت نفسها مفروضة على ابن تافراجين الذى وجدها فرصة من أجل تحقيق مطامعه فاتفق مع العرب على الانضمام لمساندة السلطان أحمد بن أبى ديوس مقابل توليه الوزارة<sup>(٢)</sup> فأرسله السلطان المؤينى للتفاوض مع العرب لرفع الحصار عن القيروان ولكنه فرح وانضم معهم وتحركوا إلى العاصمة مع سلطانهم الجديد وحاصروها<sup>(٣)</sup> ولكنهم فشلوا فتحرك اليهم السلطان أبو الحسن المرينى، عندما علم الوزير ابن تافراجين هرب وتلك البيعه والسلطان، وركب البحر

(١) يحيى بن خلدون: العبر، مج ١، ص ٢٣٥، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨١٧، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٦٣، ابن راضوان: الشهب اللامعه، ص ١٥، مقديشى: نزهه القطار، ج ١، ص ٥٧٦.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص، يحيى بن خلدون: بقيه الرواد، ج ١، ص ٢٣٥، ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، السلاوى: الاستقصا، ج ٣، ص ١٦١؛ ابن راضوان: الشهب اللامعه، ص ١٥؛ مقديش: نزهه الانظار، ج ١، ص ٥٧٧، الغنيمى: موسوعه المغرب، ج ٢، ص ٥، ص ٢٥٩-٢٦٠، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات مغريبه واندلسيه فى التاريخ والحضارة، مركز الاسكندريه للكتاب، ٢٠٠٧، ص ٦٥.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٠، ابن مرزوق: المسند، ص ٣٦٩-٣٧٠، الزركشى: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن راضوان: الشهب اللامعه، ص ١٥، يحيى بن خلدون، بعثه الرواد، ج ١، ص ٢٣٦، رشاسالم: المرجع السابق، ص ٢٠٢، المطوى: السلطنه، ص ٣٩٨

إلى الاسكندرية<sup>(١)</sup>.

واستمرت البيعة معلقه بعد هروب الوزير ابن تافراجين وانسحاب العرب وسلطانهم وسأت ظروف السلطان أبا الحسن المريني فانسحب وتمت البيعة للفضل الحفصي عام ٧٥٠هـ / ١٣٥٠م<sup>(٢)</sup> وعندما عاد ابن تافراجين اتحدت أهدافه مع مساعي زعماء اولاد الليل، وطلبوا من السلطان أبي الفضل الحفصي إقصاء وزيره وحاجبه ابن عتو وتولية ابن تافراجين وزيراً وحاجباً له، ورفض السلطان أبو الفضل طلبهم، فغدروا به بدلاً من الصلح معه خارج المدينة كما اتفقوا، وسرعان ما اعتقلوا السلطان وحاشيته ودخل ابن تافراجين تونس وبسط سلطانه عليها في ١١ جمادى الاولى سنة ٧٥١هـ / يوليو ١٣٥٠م واعلن الوزير الحاجب ابن تافراجين عزل الفضل الحفصي وجاء بأخيه أبي اسحاق إبراهيم الذي لم يتجاوز عمره الثلاثة عشره عاماً<sup>(٣)</sup> وجاء به إلى القصر وأجلسه على كرسي الخلافة وبايع له الناس خاصته وعامة وهو لا يزال طفلاً صبيّاً واصبح في كفاءة حاجبه ووزيره ابن تافراجين<sup>(٤)</sup> وهنا نجد شده سيطره

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٠، الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤  
٨٥، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ٢٦١، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات، ص ٦٥،  
برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٠، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢٠٢  
(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٥ ٨٢٦، الزركشي: المصدر السابق، ابن  
القنفذ: الفارسيه، ص ١٧٣، ابن الشباع: الادله، ص ٩٨ ٩٩، المطوى: السلطنة، ص  
٤١١

(٣) GIMENEZ SOLER, LA CORONA DE ARAGON x Granada, Baceioma,  
١٩٠٨. p. ٢٩٢

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٨، ابن الشباع: الادله، ص ١١١، ابن

الوزراء على مقاليد الحكم وزياده نفوذهم جعل الوزير ابن تافراجين يأخذ البيعه لطفل لم يتجاوز الحلم، واصبح توريث العرش والبيعه لطفل من أجل سيطرة الوزراء على مقاليد الحكم والاستيلاء بجميع امور الدوله ليعثوا بمبايعتهم وولائهم للسلطان الجديد، فبعثوا بالبيعه ماعدا بنو مكى الذى امتنعوا عن مبايعه طفل مع أولاد مهلهل للقضاء على ذلك الوزير وغلामه ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك، وكذلك استمرت البيعه والسلطه الصورية فى يد الغلام والسلطه الفعلية فى يد الوزير<sup>(١)</sup>.

عندما توفي السلطان أبو إسحاق الحفصى فجأة يوم العشرين من رجب ٧٧٠هـ/فبراير ١٣٦٩م<sup>(٢)</sup> فعمت الدهشه على وزراؤه لمن البيعه ومن الوارثين الذى استولى الحكم الحفصى، واستقروا بالبيعه على ابنه أبى البقاء خالد وهو طفل صغير لايتجاوز عمره اثنتى عشرة سنة<sup>(٣)</sup> وهو الابن الاكبر من اولاد السلطان أبى اسحاق. فتمت البيعة بتونس فى رجب سنة ٧٧٠هـ صبيحه موت أبيه، فقام الوزير ابن أحمد بن إبراهيم المالقى والعليج منصور وحضر الشيوخ من الموحدين، والفقهاء والكافة وانفض المجلس بعد ان تمت البيعة

القنفذ:الفارسية، ص ١٧٤، ابن الخطيب:اللمحة البدوية، ص ١١٩؛ الزركشى:المصدر السابق: ص ٩٠، ابنابى دينار: المصدر السابق، ص ١٤٨، القلقشندى: صبح الاعشى، ج ٥، ص ١٢٧، محمد الهادى العامرى:المرجع السابق، ص ١٠٦ ١٠٧، كمال أبو مصطفى:دراسات، ص ٦٨

(١) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٢٩، المطوى:السلطنة، ص ٤١٦

(٢) ابن خلدون:العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٤، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) برنشفيك:المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٧، المطوى:السلطنة، ص ٤٧٣.

وقاموا بدفن السلطان<sup>(١)</sup> وأخذ الوزيران في السيطرة على السلطان الطفل وأخذوا يسيران شئون البلاد حسب هواهما<sup>(٢)</sup> وهنا نجد ما وصلت إليه البيعة وولايه العهد من هوان بسبب ضعف السلاطين واستبداد الوزراء؛ لدرجه ان احد العلوج يقوم بأخذ البيعه لأحد سلاطين الدولة الحفصية، وعندما سيطر الوزيران على السلطان الطفل أبى البقاء خالد وفساد حال البلاد لسيطرة الوزيران على شئون لم يروق ذلك ليحيى بن يملول صاحب تودر، والخلف بن الخلف صاحب نفطة، فقاما على الفور بخلع طاعة السلطان الطفل ووزيريه المستبدين واعلنا البيعه لأبى العباس أحمد الحفصى صاحب قسنطينة سلطاناً للدولة الحفصية<sup>(٣)</sup> وهنا انقسمت البيعة بين تونس وسلطانها الطفل الضعيف، وأمير حفصى بقسنطينة قوى يسعى لإعادة أمجاد أجداده العظماء، فوحد صفوفه ونظمها وانطلق إلى تونس، للاستيلاء عليها وقبل وصوله إلى العاصمة توافدت عليه جميع الوفود من شتى انحاء افريقيه الحفصية تعلن عن بيعتها له وتقدم له فروض الطاعة والولاء<sup>(٤)</sup>.

ثم تحرك إلى تونس وفرض الحصار عليها حتى تمكن من دخولها وقبض على المعتدين من الوزراء السابقين للسلطان الطفل في الثامن عشر من ربيع الاول ٧٧٢هـ، ٩ نوفمبر ١٣٧٠م، وأقبل عليه العامة إقبالاً شديداً يبأيعونه

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٤، الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٢.

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٤؛ المطوى: السلطنة، ص ٤٧٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٨٦-٨٦٧.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٧.

ويدعون له، ويحتفلون به والبيعة الجديدة الأمانة التي سوف تحفظ لهم حياتهم وتوفر لهم الأمن والأمان<sup>(١)</sup>. واستمرت البيعة هذه المرة فترة كبيرة إعادة للأذهان ذكر السلاطين الحفصيين العظماء وسار على نهجه أبى فارس عبدالعزيز الذى بايعه العامه والخاصة بعد وفاة والده أبى العباس احمد، وبالرغم من تركه اولاد كثيرين بعضهم كان موجودًا في حاضرة تونس ومنهم من كان خارج العاصمة في بعض الولايات فتمت البيعة لابى فارس عبدالعزيز يوم الخميس الرابع من شعبان ٧٩٦هـ/ لربيع من يونيه ١٣٩٤م برضا من الناس خاصتهم وعامتهم<sup>(٢)</sup>.

بعد أن تنحى أخوه أبو بكر ولى العهد عن السلطنة وعجزه عن القيام بأمر الخيفة وذلك لانشغاله باللهو والمجون فرضى بولاية قسنطينة وارتحل عن تونس<sup>(١)</sup> وظلت البيعة وولاية العهد مستقرة وفي أمان بفضل هذا السلطان العظيم، وتوالت عليه وفود القبائل العربية والبربرية بالبيعة<sup>(٣)</sup>.

واستمر أبو فارس عبدالعزيز وبيعته في الحكم الحفصى لمدة إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام يجاهد في سبيل الحفاظ على وحده السلطنة الحفصية، ويجعل لدولته حسن السمعة والصيت على شتى النواحي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٨؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٦؛ ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٢؛ ابن القنفذ: الفارسيه، ص ١٧٧؛ ابن الشجاع: الأدلة: ص ١٠٨-١٠٩، ابن أبى الضياف، المصدر السابق ص ٢٢٨؛ حسن حسنى عبدالوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ص ١٤٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٩١٠؛ ابن الشجاع: الأدلة؛ ص ١١٣.

(٣) ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٠، المطوى: السلطنة، ص ٥٥٢-٥٥٣.

حتى توفي صباح عيد الاضحى سنة ٨٣٧هـ/ الثامن عشر كم يوليه ١٤٣٤ في موضع يعرف باسم ولجة السدرة قرب جبل ونشريس من نواحي تلمسان<sup>(١)</sup> وأبعد إخوانه عن الحكم وعين ابنه محمد المنصور ولياً للعهد من بعده لما وجد فيه من خصال حميده وحسن الإدارة والاستعداد لتسيير شئون الدولة وكان لقاءه بالمنصور دليلاً على منزلته وكفاءته العلمية والحرية<sup>(٢)</sup> ولكنه توفي فجأة قبل وفاة والده ولم يكن قد تمكن بالحكم بعد، حيث لقي حتفه بوطن طرابلس في الثانى والعشرين من شهر رجب ٨٣٣هـ/ السادس عشر من أبريل ١٤٣٠م<sup>(٣)</sup> مما انعكس ذلك على السلطان أبى فارس عبدالعزيز وتأثر بوفاته غايه التأثير، وحول ولايه العهد لحفيده محمد المنتصر بن محمد المنصور، مما أغضب ابنه المعتمد صاحب بجايه الذى تحرك الى الحاضرة تونس طمعاً فى ولايه العهد، وكان يتظاهر بأنه جاء للتغزيه، ولكن الامر قد نفذ وانتهى بجعل محمد المنتصر ابن أخيه المنصور لولاية العهد فعارض ذلك العمل مما جعل والده السلطان أبو فارس عبدالعزيز يعتقله، وعين بدلاً منه قائد وأحد مماليكه القائد أبا نعيم راضوان على بجايه<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢-ص.

(٢) ابن الشيع: المصدر السابق، ص ١١٧، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٦، المطولا: السلطنة، ص ٥٩١-٥٩٢، برنشفيك المرجع السابق، ج ١، ص ٦٨، ابن الشيع: الادلى، ص ١١٧-١١٩، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٦؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٢٨-١٢٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٩، المطوى: السلطنة، ص ٢٩٣.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣١؛ ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٧٧؛ ابن

وعندما علم محمد المنصر بوفاة جده؛ أمر بكتمان وفاته خوفاً من ان تخرج الأمور من يديه، وخرج ليؤم الناس في صلاة العيد، ويعلمهم بقرار العوده إلى تونس لأن جده مريض جداً وانهم سيعودون به محمولاً على محنة، وظل السير والخبر في الكتمان حتى تسرب رويداً رويداً، حتى وصل المعتمد، فدبر حيلة للهرب ولكنه تم القبض عليه واعتقله وكحل عينه بالنار، ثم بايعه الناس سلطاناً حفصياً.

ثم أمر بتغسيل جده وتكفينه ودفنه<sup>(١)</sup> ولكن كانت البيعة الأولى له يوم عيد الاضحى بمراج ولجة السدرة ثم جددت في البيعة حاضرة تونس حيث خرج الناس لمياعته في حشود عظيمة يوم عاشوراء سنة ٨٣٨هـ<sup>(٢)</sup> وجعل محمد أخاه أبا عمرو عثمان ولياً للعهد، وعندما اشتد المرض بأخيه السلطان، اصبح ارتقاؤه للعرش بمثابة وقت، ولم يمض كثيراً حتى توفي السلطان في الثاني والعشرين من صفر ٨٣٩ / السادس عشر من سبتمبر ١٤٣٥، بعد ان قضى في الحكم سنة واحدة وشهرين واثنى عشر يوماً<sup>(٣)</sup> وبويع أبو عمرو عثمان سلطاناً على الدولة الحفصية صبيحة يوم وفاة أخيه وبويع بتونس على رضى من الخاصة والعامة يوم الجمعة<sup>(٤)</sup> وصلى بالناس صلاة الجمعة وبقية اليوم وكان

الشماخ: المصدر السابق: ص ١١٩.

(١) ابن الشماخ: الأدلة، ص ١٢٠؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٢، المطوى: السلطنة، ص ٦٠٥

(٢) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٤؛ ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١٢١؛ ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٤؛ ابن الشماخ: الأدلة، ص ١٢١؛ ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص ٢٣٥؛ المطوى: السلطنة السلطنة، ص ٦١١.

عمره حين البيعة سبعة عشر عامًا وأربعة اشهر وخمسة عشر يومًا<sup>(١)</sup> ولم يختلف على بيعته أحد بسبب صغر سنه لما كان يتمته به من خصال حربية وشجاعة وإخلاصة لشقيقة في جميع حروبه<sup>(٢)</sup>.

وهنا نجد ان البيعه وولايه العهد ترتبط بقوة السلطان الحفصى فنجد ان جميع وزراء أبى عمرو عثمان لم يختلفوا عليه، ولم يخرج واحد منهم بأمر حفصى آخر من أجل منافسه السلطان أبى عمرو عثمان الذى تلقب بالمتوكل على واحتفظ بجميع وزراء أخيه فى مناصبهم مما سهل استقرار البيعه له واستقرار الامور السياسية وتفرغ للقضاء على الفتن والثورات<sup>(٣)</sup> وانعكس ذلك على طول فتره حكمه التى استمرت اكثر من نصف قرن اى حوالى ثلاث وخمسين سنة، وبقيت مع البيعه والعرش الحفصى دون منافس حقيقى<sup>(٤)</sup>.

وقام السلطان أبو عمرو عثمان بتعيين ابنه محمد المسعود وليًا للعهد فكان يحبه كثيرًا، ويعلق عليه الآمال الكبيرة لتولى السلطه والحكم الحفصى من بعده

(١) ابن الشعاع: الادله، ص ١٢١.

يذكر برنشفيك ان أبو عمرو عثمان عندما بايعه العامة والخاصة ستة عشرة سنة ونصف اى اقل مما ذكره ابن الشعاع والاقترب للصواب ابن الشعاع لأنه كان معاصر واقرب للاحداث لأن برنشفيك ناقل عنه وعن غيره من المصادر.

راجع: برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٦٨.

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٣٤-١٣٥؛ ابن أبى الضياف: المصدر السابق، ص

٢٣٥-٢٣٦

(٤) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٢.

فكان شخصية مرموقة اشتهر بأعمال البر فكان مؤمناً أميناً<sup>(١)</sup> ومدحه الشعراء لاسيما ابن الخلوى الشاعر الاندلسى الذى قال فيه القصائد والأزجال والموشحات<sup>(٢)</sup> ولكن ولايه العهد انتقلت الى أبى زكرياء يحيى بن محمد المسعود الذى كان يشغل إمارة قسنطينة وذلك بسبب وفاة محمد المسعود فى شعبان ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م، واختاره السلطان عن اقتناع لأنه ابن ولى عهده الأول، ولكن السلطان أبا عمرو عثمان توفى فى الشهر الموالى لوفاة ولى عهده الأول فى آخر رمضان لسنة ٨٩٣هـ، وكانت وفاة ابنائه محمد المسعود وإبراهيم من الأسباب التى عجلت بوفاة على الرغم من ان عمره كان يناهز السبعين<sup>(٣)</sup>.

وبعد وفاة السلطان العظيم أبى عمرو وعثمان دخلت البيعة مرة أخرى حاله الشد والجذب، حيث بويع الأمير بى زكرياء يحيى يوم وفاة جده وخرج الى المحلة وبايعه العامة والخاصة<sup>(٤)</sup>، ولكنه استخدم جميع الاساليب للحفاظ على السلطة والبيعة فقتل عمه أبى بكر والى طرابلس صاحب اكبر مؤهلات وامكانيات الحكم وكذلك قتل عبد الملك بن أبا بكر وسجل عينى أخيه الامير الحسن وابن أخيه أبى بكر المنتصر فكان شديد القسوة مع خصومة، ولكنه لم

(١) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٧٩.

(٢) ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٧٩، ١٨٠، المطوى: السلطنة، ص ٦٤٠.

(٣) ابن أبى الضيف: المصدر، ص ٢٣٩، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٠٦، المطوى: السلطنة، ص ٦٤١.

(٤) ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٨١.

المطوى: السلطنة ص ٦٤٣.

يستمتع بالبيعة والخلافة حتى استولى الشاب أبو يحيى زكرياء بن يحيى على الحكم وأخذ ثأر أبيه فهرب السلطان الى الجبال ولكن الاعراب ساعدته في العوده الى تونس وجددت له البيعة وجاءته البيعة من جميع البلاد مثل قابس وعنابة وصفاقس ودانت له البلاد حتى توفي في التاسع من شعبان ٨٩٩هـ / ١٥ مايو ١٤٩٤م وهو في عنفون شبابه<sup>(١)</sup>.

واشتدت الاضطرابات الداخلية طيلة السنوات الست وما أعقبها حتى بويح أبو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد المسعود يوم وفاة ابن عمه أبي زكرياء يحيى وجلس بالقبه وبايعه الخاصة والعامة<sup>(٢)</sup>.

واستمرت البيعة تهوى الى النهاية من بعد أبو عمرو عثمان حيث تولى بعده السلاطين الضعاف وازدادت البلاد مشادًا واضطربت الاحوال وسيطرت الوزراء على البلاد والسلاطين حتى انتهت الدولة الحفصية على ايدي الاتراك.

### وخلاصة القول:

إن نظام الحكم في الدولة الحفصية كان وراثيا وكان ولي العهد هو السلطان المقبل الذي يتولى امور البلاد وكان السلطان الحفصي هو صاحب الكلمة في تعيين ولي العهد لمساعدته الوزراء هولاء لعبوا دورًا هامًا في عملية اخذ البيعة لسلاطينهم، وحرص السلاطين على توثيق عهد الولاية لابنائهم، ولعب

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٠٧.

(٢) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٧١-١٨٢.

- المطوى: السلطنة، ص ٦٤٧، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٠٦-٣٠٧، حسن حسني: خلاصة تاريخ تونس، ص ١٤٩.

الوزراء دورًا هامًا في عمليه أخذ البيعة لأي أمير حفصي سوف يكون هو السلطان من أجل كسب النفوذ والسيطرة على السلاطين إذا كانوا ضعافًا على العكس من السلاطين الأقوياء الذين كانوا يقومون بعزل وقتل وزرائهم المفسدين في حالة ثبات غشهم وعدم الاخلاص لهم، وإذا لم يعين السلطان واليًا للعهد كان الوزراء هم اصحاب الكلمة في تعيين من يساعدهم على كسب النفوذ والسلطان، كما كان للوزراء في فترات الضعف من تحويل البيعة من سلطان إلى آخر حسب اهوائهم ومن سوف يجعلهم في المناصب المرموقة.

وتعد هذه الفترة الحرجة من تاريخ الدولة الحفصية، تضارب المصدر في أقوالها وأخبارها اشد التضارب في نقل الاحداث ونجد أن معظم المصادر الحفصية المعاصر توقفت عن تدوين تاريخ الدولة الحفصية سوى القليل منها، ولم تذكر أسماء أي وزراء في أواخر عهد السلاطين الاواخر ولم تتكلم عن نظم البيعة والولاية لعهد بالتفصيل والدقة المطلوبة بانتهاء الفارسيه عند عهد السلطان أبي فارس عبد العزيز وكذلك توقف ابن خلدون.

## دور الوزراء الحفصيين في العلاقات الخارجية

### دور الوزراء الحفصيين في العلاقات الخارجية مع بنى عبد الواد

كان وجود دولة بنى عبد الواد<sup>(١)</sup> في المغرب الأوسط بين بنى حفص في تونس، والدولة المرينية في المغرب الأقصى، فرض عليها معاناة شديدة من القوى المجاورة من أجل البقاء وتأمين حدودها ثم التوسع على حساب الأخرى<sup>(٢)</sup> مما جعل بنو زيان يتضامنون مع الدولة الموحدية ضد الحفصيين في بادئ الأمر<sup>(٣)</sup> فترتب على ذلك محاولات الحفصيين في السيطرة على تلمسان ومهاجمتها<sup>(٤)</sup>.

(١) ينتمى بنو عبد الواد إلى قبيلة زناتة الأمازيغية وقطنوا ربوع بلاد المغرب، وبطونهم كثيرة، عاشوا حياة البداوة والترحال عبر المراعى، واستقروا بأحواز تلمسان في عهد الموحدين، وظلوا في خدمتهم حتى ضعفت الدولة الموحدية واستقل ابن يحيى يغمراسن بن زيان بالحكم العبد الوادى وقطعوا دعوة بنى عبد المؤمن وأعلنوا تلمسان عاصمة لهم عند بناء دولة بنى عبد الواد راجع ابن الأحرر: روضه النسرین، المطبعة الملكية - الرباط ١٩٦٢ م، ص ٨-١٠، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ت/ هانى سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ج ١، ١٤٢١/ ٢٠٠١ ص ٤، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب - تحقيق، عبد المنعم عامر مطابع لجنة البيان العربى، القاهرة، ١٩٦١، ص ٢٢٥، يحيى بن خلدون: بغية الرواد - تقديم عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ١٩٨٠، ص ٨٤-٨٥ مجهول: إفريقية، مخطوط بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، رقم ١٤٤ جغرافيا، ورقة ١ أ، أب التنسي (محمد بن عبد الله المتنسى): نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بنى زيان. مخطوط بدار الكتب المصرية، القاهرة ٨٦٦١ ح - رقم ميكرو فليم ٤٣٨٣، ورقة ١٤ يحيى بو عزيز: تلمسان عاصمة الغرب الأوسط، عاصمة الثقافة، الجزائر ٢٠٠٧ ص ٥٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، ج ٧، ج ١٣، ص ١٨٥-١٨٦، العروى: المرجع السابق، ص ١٩٨

(٣) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ١٩٩، يحيى عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٤، ص ١٢.

(٤) ابن الشاع: المصدر السابق، ص ٥٩

## وزراء أبو زكرياء الحفصى وعلاقتهم مع الدولة الزيانية:

كان يغمراسن<sup>(١)</sup> أول من استقل بالزيانيين عن الموحدين، وعمل على استقرار دولته وازدهارها<sup>(٢)</sup>.

واستمر في تحالفه مع الموحدين، مما جعل الحفصيون يشكون في نواياهم<sup>(٣)</sup> وعلى الفور طلب أبو زكرياء منه قطع صلته بالموحدين، ولكنه رفض<sup>(٤)</sup> وكان هذا القرار يعد تحدياً صارخاً للسلطان الحفصى، وعاملاً مؤثراً في توتر العلاقة بين الدولتين، فتحرك السلطان أبو زكرياء ووزراؤه بعساكرهم الضخمة وجيوشهم الوفيرة<sup>(٥)</sup> في شهر شوال سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م. صوب تلمسان فكان هو

(١) يغمراسن بن زيان كان أبيض اللون أشقر الشعر دفن بإزاء قبر الشيخ محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسى، ببيع بتلمسان عام ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م، وكان جرى، شجاع ومتواضع راجع: ابن الأهر: روضة النسرين، ص ٤٥ - ٤٦، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٤، مقديش: المصدر السابق: ج ١، ص ٥٣٣، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٢٣٠، بينما يصفه ابن الأهر بالجبن وذلك بسبب عدائه له وهذا لا يتفق مع شخصية وقرارته التى اتخذها من اجل التوسع وشجاعته فى مراسلاته من اجل الحفاظ على ملكه راجع ابن الأهر: روضة النسرين، ص ٤٥، تاريخ الدولة الزيانية، ص ٥٩ - ٦٧، عبد الحميد حاجيات: أبو هو موسى، ص ١٣ - ١٤، المدنى: كتاب الجزائر، ص ٣٠ - ٣١، فهمى الجزائرى، المرجع السابق، ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٢) يحيى بو عزيز: تلمسان، ص ٥٣.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٦، ص ٦٠٧ - ٦٠٨، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٥.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٧.

(٥) ابن خلدون العبر، ج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٨، نلاحظ هنا ان ابن خلدون لم يذكر عدد العساكر فى الجيش الحفصى بينما ذكره ابن الشماخ بعدد اربعة وستون الف ص ٥٩، ابن القنفذ:

ووزراؤه وجيشه أمام أسوار المدينة في نهاية شهر محرم سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م<sup>(١)</sup> وحاصرها واستولى عليها بعد أن هزم الجيش الزياني شر هزيمة، بينما هرب يغمراسن بن زيان مع عائلته وكبار رجال دولته الى الجبال المجاورة<sup>(٢)</sup> وعلى الفور استشار السلطان أبو زكرياء وزراؤه المصاحبين له على من يوليه تلمسان، ويعود هو لتونس لاداره شئون دولته، حتى اتصلت به صوت النساء ام يغمراس من

الفارسية، ص ١٠٩، الزركشي، المصدر السابق، ص ٢٩، ابن عزازي: المصدر السابق، ص ٣٦١ ذكر ابن القنفذ والزركشي بأن تعداد الجيش الحفصي بلغ قومه في هذه الجملة اربعة وستون ألفاً على العكس من ابن عزازي الذي قال ان عدده بلغ عشرة آلاف وذكره الجيلاني ويحيى بن خلدون والرأى الاخير هو الاقرب للصواب نظراً لما تتكلفه تلك الحملات من سلاح وفرسان، راجع الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج ٢، ص ١٣٣ يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١١٢ وهما يتفقوا مع ابن الشعاع، وحينما صمت ابن خلدون: عن ذكر عدد الجيش الحفصي بسبب هذه التناقضات.

- Jamil Abun Nasr, op.cit., P. ١٢٠.

(١) اختلف المؤرخون حول تاريخ وصول الحملة الى تلمسان حيث يذكر يحيى بن خلدون، وعبدالرحمن بن خلدون، تاريخ الوصول كان نهاية شهر محرم ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م، بينما ذكر الزركشي وابن القنفذ وابن الشعاع ان وصول الحملة كان في شهر ربيع الاول سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م، ولما رأى الاول هو الصواب لانه يناسب مع مقدار المسافة بين تونس الى تلمسان مع سهول حركة الجيش الحفصي بسبب مساعده القبائل وخضوعهم له. راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٩، يحيى بن خلدون المصدر السابق، ص ٢٩، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٠٩، ابن الشعاع، المصدر السابق، ص ٥٩، الجزائرى، المرجع السابق، ص ٣٢٨، عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة الجزائرية، ٢٠٠٦، ج ٢، ص ٤٠.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٩، الزركشي، المصدر السابق، ص ٢٩، الجيلاني: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣.

## أجل التفاوض وطلب الصلح<sup>(١)</sup>.

وتم الاتفاق بين الطرفين على عودة يغمراسن الى تلمسان، وقيم الدعوة الحفصية، والدعاء للسلطان الحفصي على المنابر، ومساعدتهم لهم ضد الموحدين، وقطع جميع العلاقات معهم<sup>(٢)</sup> ودفع مائة الف دينار سنوياً للسلطان الحفصي<sup>(٣)</sup>، ولكن وزراء السلطان الحفصي وهو في طريق العودة إلى تونس، ابلغوه بأنه لا أمان لهم في يغمراسن ولا ثقة لهم فيه، ونصحوه بأن يقيم منافسين له من زناتة وامراء المغرب الاقصى حتى لا يخلو له الجو في المنطقة، ويزداد نفوذه، فقبل وعجل بذلك<sup>(٤)</sup>، وهكذا كان لوزراء أبي زكرياء الحفصي

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٠٩-٦١١، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٥، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٩، يؤكد ابن خلدون والزركشي على دور سوط النساء في الصلح، واکرام السلطان أبي زكريا لها بينما يرفضه يحيى ابن خلدون: وللكتنا نرى دورها البارز حيث كان لها نظره سياسه ودرايه بالاحداث بالاضافه الى ان يحيى بن خلدون كان يعمل لدى بنى عبدالوادر وكانت للمقاومة الزيانية دوراً في اتمام الصلح واستخدامهم اسلوب الكر والفر في القتال راجع أبو حمو: واسطه السلوك، ورقة ٢٨١٢٥، ويحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٦، مقلد غنيمي: الموسوعة، ج ٥، ص ١١٧.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ٢٠٦، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٥، الجيلاني، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) الجيلاني: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٣، الجزايري: المرجع السابق، ص ٣٢٨ ولكنه لم يذكر مقدار الجزية.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤ وهنا نجد ان السلطان الزياني تمسك بالبيعه والولاء للحفصيين على الرغم من نبذ بنو شير وعده الحفصيين وكذلك اهل سبتة وطنجه، وذلك بسبب بعدهم عن السلطة المركزية في تونس، وتمسك يغمراسن بها بسبب قربية من تونس ووجود امارات بنى توجين مغراوة التابعين للحفصيين بجواره، حيث كان يهدف الى

في توسيع نفوذ دولته عن طريق غزو تلمسان ومشاركتهم في حملته ونصحهم له في عمل ميزان القوى في المنطقة حتى صارت تلمسان تابعة للدولة الحفصية ولو تابعة شكلية.

وهذه التبعية كانت من نصيب الاقوى، وهذا يظهر جلياً عندما هاجم السعيد الموحدى بنى زيان فقدموا له فروض الولاء والطاعة<sup>(١)</sup>، ولكنه بعد مقتل الخليفة السعيد في المعركة يوم ١٠ صفر سنة ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م حيث يعتبر ولاءهم الى الحفصيين فكانوا يرسلون ابناءهم وكبار رجال دولتهم الى السلطان الحفصي أبى عبدالله محمد المنتصر بعد ان خلف والده، وذلك لتأكيد ولائهم<sup>(٢)</sup> يتأهبون فرصه للاتصال والتوسع، ولكن كان لقوة السلطان

---

الاستقرار وترتيب قواته من اجل الانفصال عن الحفصيين راجع، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤ - ٦٢٥.

(١) يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٦، وذلك لانه فشل في اقتحام حصن تامريزين الذى تحصن فيه يغمراسن وجنوده فقتل السلطان السعيد اثناء الحصار وهزمت جيوشه راجع ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣ ص ٢٠٦، يحيى بن خلدون، غية الرواد، ج ١، ص ١١٣، ابن أبى زرع، الذخيرة لسنه، ص ٧٢، الوزان وصف افريقيا ص، مجهول، الحلل الموشية، ص ١٦٧، عبدالوهاب بن منصور، قبائل المغرب، ج ١، ص ١١٣، الزركشى، المصدر السابق، ص ٣١.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤ وهنا نجد ان السلطان الزياني تمسك بالبيعه والولاء للحفصيين على الرغم من نبذ بنوشير وعده الحفصيين وكذلك اهل سبته وطنجة، وذلك بسبب بعدهم عن السلطة المركزية في تونس، وتمسك يغمراسن بها بسبب قربية من تونس ووجود امارات بنى توحين وفعاره التابعين للحفصيين بجواره، حيث كان يهدف الى الاستقرار وترتيب قواته من اجل الانفصال عن الحفصيين راجع، ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٢٤ - ٦٢٥.

المستنصر ووزرائه دور في ذلك التأجيل، حيث ارسل حملة على المغرب الاوسط قاصداً مليانه بقيادة وزرائه.

وأخيه من أجل اعادتها للنفوذ الحفصي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م<sup>(١)</sup> ثم خرجت مدينه الجزائر عن طاعه الحفصيين سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م ثم استولى الحفصيون على مدينة مليانه سنه ١٦٨هـ / ١٢٦٩م مستغلين حمله لويس ملك فرنسا وملك صقلية على تونس يوم الخميس ٢٦ ذى القعدة ٦٦٨هـ / ١٧ يونيو ١٢٧٠م وعملوا على توسيع نفوذهم بالمغرب الاوسط في الوقت الذي ارسل فيه المستنصر الى حكام ولايته (بلاد) ليدكرهم ما وصلت اليه حروبه ضد النصاري، وطلب منهم الاتحاد والسلاح والجنود من أجل دحر هذه الحملة الفاشية على بلادهم<sup>(٢)</sup>.

وظلت العلاقات بين الحفصيين وبنى زيان على مايرام في عهد المستنصر، حيث أرسل القاضي أبو القاسم بن أبي بكر اليمنى بن زيتون<sup>(٣)</sup> الى يغمراسن بن زيان سلطان تلمسان، حيث شكر يغمراسن مقاومته وحسن سياسته وهمته، واكد يغمراسن ولاءه للسلطان الحفصي المستنصر<sup>(٤)</sup> ولم يفت (بنس).

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٦٨-٦٦٩.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٦٦٩.

(٣) هو الشيخ الفقيه القاضي الامام المجد جمال علماء المغرب صاحب وزراء القلم أبو القاسم بن أبي بكر اليمنى الشهير بابن زيتون من اهل تونس، توفي في رمضان عام ٦٩١هـ / م وكان صاحب باع طويل في السياسة الحفصية على عهد المستنصر وجعله سفيراً له في بلاد المغرب ولذلك ارسله مرتين فكانت دائماً سفارته سفاره تقارب بين بلاد المغرب راجع الفيراني، عنوان الدراية، ص ١١٤-١١٥.

(٤) ابن القنفذ، الفارسية، ص ١٣٢، الفريني: المصدر السابق، ص ١١٥.

يغمراسن ان يرسم خلفائه سياستهم اتجاه الحفصيين حتى يستطيعوا العيش في سلام وتثبيت اركان دولتهم، وقدم لهم دستوراً يسيرون عليه فيقول ((يا بنى ان بنى مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الاعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لاطاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا الوفود قددهم، ولا يمكننى انا القعود عن عندلقائهم..... وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك، وحاول ما استطعت فى الاستيلاء على ماجاورك من عمالات الموحدين(\*) وممالكهم يستفحل به ملكك، وتكافىء حشد العدو بحشدك، ولعلك نصير لبعض الثغور الشرقية(\*) مقللاً لذخيرتك<sup>(١)</sup> وظلت هذه هى السياسة الزيانية اتجاه الحفصيين والمرينيين فتره طويله من الحكم الحفصى الزياني والعلاقة بينهما<sup>(٢)</sup>.

وبالفعل عمل الزيانيون على مهاجمة أملاك الدولة الحفصية، حيث شنوا هجوماً على بجاية بقيادة السلطان أبى سعيد عثمان الاول عام ٦٨٦هـ

(\*) يقصد هنا عمالات الموحدين هى الاراضى التابعة للدولة الحفصية.

(\*) الثغور الشرقية لدولة بنى عبدالواد هى الولايات التابعة للدولة الحفصية.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ١٨٩-١٨٠، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ١٠٥-٢٠٥، عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، ج ١، ص ١٤٨، المليلى، تاريخ الجزائر، ص ٨١٣.

(٢) ابن أبى زرع، الذخيرة السنية، ص ٦١، ١٢١، ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ١٨٩-١٩٠، أحمد عبدالله، يوميات وتراجم مغربيه، نصوص مختاره من كتاب وجيز الكلام، اشغال المؤتمر الاول كتاب المغرب العربى وحضاره ج ١، ص ٧٢، السلاوى، الاستقصا، ج ٣، ص ٦٨-٦٩.

١٢٨٧م في غياب حاكمها أبي زكرياء ووزرائه<sup>(١)</sup> الذين كانوا في محاولة منهم لضم تونس العاصمة الى ممتلكاتهم، وتوحيد البلاد تحت حكم السلطان الحفصي أبي زكرياء محمد إبراهيم ولكن كان للوزير الفازازي الذي استطاع صد الهجوم ومنعه من الاستيلاء على أملاك السلطان<sup>(٢)</sup>، فاستطاع صد هذا الهجوم إلى ناحية الجنوب ولكنه عاد الى بجاية مرة أخرى بعد فشل الزيانين في الاستيلاء عليها<sup>(٣)</sup> وكانت الحملة الزيانية خير دليل على مدى ضعف السلطة الحفصية المنقسمة على نفسها في تونس وبجاية وسيطرة الوزراء على امور الحكم، والتنافس فيما بينهما من اجل ان يكسب كل سلطان الحكم، ويستأثر هو به ويسيطر على الدولة.

وسأت العلاقات بين الحفصيين والزيانين اكثر عندما تحرك بنو زيان من أجل السيطرة على الثغور الشرقية لهم وهى من املاك الحفصيين، التى سعى السلطان أبو عصيدة لإرجاعها واستردادها وتوحيد الحكم الحفصي، ولكن كان للمرينيين رأياً آخرًا حيث داهموا تلمسان وفرضوا عليها حصاراً سنة ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م<sup>(٤)</sup> بقيادة أبو يعقوب(\*) فاجأ الزيانيون الى الاستنجاد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠١، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٨.

(٢) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٤.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٠١-٧٠٢، الفارسية، ص ١٤٩، عبد الحميد حاجيات، أبو هو موسى الزيانى، ص ١٤، المطوى، السلطنة، ص ٢٧٠.

(٤) هذه هى أول غزوات المرينيين على بنى زيان الذين تحصنوا داخلها، فقام السلطان المرينى أبو يعقوب يخرب نواحيها ويحطم الزروع ويخرب العمران عن طريق المنجنيق واستمر الحصار اربعين يوماً ثم رجع السلطان أبو يعقوب للمغرب الاقصى واستمرت الحرب بين الدولتين والسبب فى ذلك احساس وشعور الدولة المرينية بضعف الزيانين وعادوا أبو يعقوب الحصار

بصهرهم الحفصى أبو زكرياء حاكم بجاية الذى وافق وساندهم ضد المرينين، بينما قام السلطان أبو عصيده بمساندة المرينين، وذلك بسبب موقفه من السلطان أبى زكرياء حاكم بجاية المنشق عن الدولة ومؤيدوه من بنى زيان.

---

لمده ثمان سنوات حتى مات هناك راجع ابن خلدون: العبر، مج ١٧، ج ١٣، ص، ابن أبى زرع، الانيس المطرب، ص ٣٧٩، السلاوى: الاستقصاء، ج ٣٦، ص ٦٩، يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٩، الحسن الوزان، وصف افريقيا، ص ٤٦، احسان خضر: المغرب العربى، ص ٩١، المتروك غنيه، المرجع السابق، ص ١٦٩.

(\*) أبو يعقوب بن عبدالحق:

Nevill Barbor: Morocco With all illustrations and maps thamsand Hudson London ١٩٦٥ p.

فما كان من السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن (\*) ٦٨١هـ / ١٢٨٣ - ١٣٠٢م (\*) إلا أن أعلن ولائه للحفصيين، ولكن ليس لسلطان بجاية بل للسلطان أبي عصيده ووزرائه المؤيدين للحفصيين<sup>(١)</sup> وذلك من أجل انهاء قوى بني زيان النشطة الطامحة في الاستيلاء على الاملاك الحفصية الشرقية لهم، واضعاف منافسهم أبي زكرياء الحفصي حاكم بجاية.

وكان للانقسامات داخل الدولة الحفصية والنزاع على الحكم بسبب سيطره الوزراء على السلاطين الضعفاء والتنافس بينهم دورًا هامًا في بدايه مرحله جديده بين الحفصيين وبني زيان<sup>(٢)</sup> مما جعل الفرصه سانحه للزيانيين من الهجوم على املاك الحفصيين بقياده سلطانهم أبي حمو موسى الزياني ٧٠٧هـ / ٧١٨هـ / ١٣٠٧ - ١٣١٨م<sup>(٣)</sup> حيث استولى على الجزائر<sup>(١)</sup> وتونس<sup>(٢)</sup> عام

(\*) هو عثمان بن يغمراسن تولى الحكم بعد وفاة أبيه يغمراسن في اوائل شهر ذى الحجة ٦٨١هـ مارس ١٢٨٣م وعمل بنصيحه والده في مسالمة بنى مرين في بدايه حكمه ولكن آوى الخارجين على الدولة المرينية فكان ذلك سببًا للغزو، وتوفي يوم السبت غرة ذى القعدة سنة ٧٠٣هـ / ١٣٠٤م. راجع يحيى بن خلدون، بغية الرواد، ج ١، ص ٢٠٨، ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ١٣، لبن الاحمر: روضة النسرین ص ٤٩ ٥٠، تاريخ الدولة الزيانية، ص ٦٨ ٦٩، المدنى، المرجع السابق، ص ٣١-٣٢، الجيلانى، المرجع السابق، ص ١٥٢، عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص ١٤.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ١٨٨.

(٢) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٥٦.

(٣) أبو حمو موسى الزياني: هو السلطان أبو حمو بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان ولد ٦٦٥ / ١٢٩٦ وبويع بتلمسان يوم وفاه اخيه السلطان أبي زيان الاول الاحد ٢١ شوال ٧٠٧هـ / ٢٦ ابريل ١٣٠٧م وكان شجاعا شديداً في غير قساوه ليست في غير ضعف راجع عبدالقادر بوطبل: تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر

٧١٢هـ / ١٣١٢م وذلك بعد أن أنهى آثار الغزو المريني عن تلمسان وتفرغ لاثبات وجود دولته على الساحة المغربية العربية<sup>(٣)</sup> في وسط قوتين كلاهما تسعى للسيطرة عليهما<sup>(٤)</sup> وفشل ابن اللحياني كبير وزراء سلطان تونس أبي عصيدة من اعاده بجاية الى حظيره الدولة الحفصية، وتوحيد الصفوف من جديد داخل البيت الحفصي.

عندما علم بما آلت إليه بجاية من وهن وضعف واضطرابات تحت قياده سلطانها الحفصي أبي زكرياء بن إبراهيم بعد ثورة أهل الجزائر ضده، واستيلاء

المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ١٩٨٦، ص ٢٥٢٦.

(١) الجزائر: مدينة جليله قديمة البناء وبينها وبين مدينة شرشال سبعون ميلاً، وبها آثار رائعه واسواق ومسجد جامع راجع الحميري: المصدر السابق، ص ١٦٣، البكري: المغرب، ص ٦٦، ابن حوقل: صورة الارض، ص ٧٧-٧٨، العبدري: الرحلة، ص ٢٦، الزهري: كتاب الجغرافية، ص ١٠٧، الحموي معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٢، الوزان، وصف افريقيا، ص، مجهول الاستنصار، ص ١٣٢، مامول، افريقيا، ج ١، ص ١٠٩، عبد القادر بوطبل: تاريخ مدينه هو تونس، ص ٢٤.

(٢) تونس: مدينة بأفريقيا محدثة إسلامية، سمعت من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين، ثم اجتمعوا الناس إليها وبنوا وسكنوا حتى صارت وعمرت، وهم عامة الدولة الحفصية ومهاجر أهل الأقطار من الأندلس والمغرب، راجع: الحميري: الروض المعطار، ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.

(٤) أبو حمو: واسطة السلوك، ورقة ٢٤-٢٥، ابن أبي زرع، الذخير، ص ٩٦، ابن الخطيب: ريجانه الكتاب، ج ٢ ص ٩١، شوقي عطالله، المغرب العربي، ص ٣٣، القبلي مراجعات حول المجتمع، ص ٨٧.

الزيانيين على بعض الجهات من نواحي بجاية<sup>(١)</sup> بعد ان وزراء السلطان أبى عصيده بقياده ابن اللحياني (وزير العسكر) بارتكاب ابشع الجرائم وبث الرعب والفرع بين القبائل بعد اعمال التنكيل بمن يعارضهم حتى وصلوا مدينة ميلة<sup>(٢)</sup> فقررروا العوده الى تونس مرة أخرى<sup>(٣)</sup> وعلى العكس من موقف سلطان تونس، قام سلطان بجاية أبو يحيى أبو بكر الحفصي بأرسال وفودًا يقودها وزيره السعيد بن يخلف الى أبى حمو الزياني سلطان تلمسان من أجل كسب ودهم وولائهم وتوطيد العلاقات بين الدولتين<sup>(٤)</sup> وهنا نجد وزراء تونس يسعون الى تدمير الدولة الزيانية والجهة الاخرى من السلطة الحفصية في بجاية، وهنا يعمل الوزراء على اتساع هوه الخلاف بين الدولتين الحفصية والعبودادية، وذلك عن طريق الحرب والاستيلاء على بلادهم وهذا الجانب كان ممثلاً في السلطان أبى عصيده ووزرائه ابن اللحياني وغيره، على العكس من السلطان الحفصي الآخر في بجاية الذي عمل وزرائه على كسب ولاء وتحالف بنى زيان من اجل الاستيلاء على القسم الشرقي من الدولة الحفصية وتحقيق ذلك في عهد السلطان أبى البقاء خالد الحفصي عندما قام بتوحيد

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣، المطوى، السلطنة، ص ٢٨٩

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣، الزركشى: المصدر السابق، ص ٤، برنشفيك، المرجع السابق، ص ١٤٣ ميلة: مدينة أزيله بها آثار للأول تدل على انها كانت كبيره وهى عامره أهله كثيرة الخصب ورخيصة السعر، وهى كثيره الاسواق والمتاجر مياها عذبه وبينها وبين قسنطينة ثمانية عشر ميلا راجع الحميرى، الروص المعطار، ص ٥٦٨-٥٦٩.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣-٧١٤، الزركشى: المصدر السابق، ص ٥٤.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٤، ٧٤٤، ٧٤٥.

الدولة الحفصية المنقسمة في تونس وبجاية<sup>(١)</sup> على العكس من وزراؤه الذين سعوا دائماً من أجل أن تبقى الدولة الحفصية منقسمة، وذلك من أجل أغراضهم الشخصية ومطامعهم الخاصة<sup>(٢)</sup> ومنهم الوزير يحيى بن أبي علام وأبو القاسم ابن أبي جُبِي<sup>(٣)</sup> ولكن كان السلطان أبا البقاء خالد له رأى آخر فأرسل سفارته إلى تونس من أجل الصلح<sup>(٤)</sup> وبسبب الصراع بين سلطان تونس ابن اللحياني وسلطان أبي بكر وبجاية دور وزراؤهم في استمرار العداء والفرقة بين الدولتين.

بعد فترة من الهدنة والوفاق<sup>(٥)</sup> بينما ظل الزيانيون في شن الهجمات على أملاك الحفصيين، مستغلين هذا الصراع والفتن الداخلية فقام أبو حمو موسى بعد رفع المرينين الحصار عن مدينته<sup>(٦)</sup> بضم الجزائر وتونس، فأسرع أبو بكر

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٣-٧٣٤، الزركشي: المصدر السابق، ص ٥٨، ابن الشاع، المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٨، المطوى: السلطنة، ص ٢٩٣

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، ج ١٢، ص ٧١٩، المطوى، السلطنة، ص ٢٩٣

(٥) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٣، الزركشي، المصدر السابق، ص ٦٣، المطوى، السلطنة، ص ٣١٩.

(٦) عندما قتل السلطان المريني يوسف بن يعقوب ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م بالمنصورة قرر ولى العهد أبى ثابت رفع الحصار عن تلمسان من أجل أن يتفرغ للاستيلاء على العرش المريني والخلاف مع أبى سالم بشرط أن يقبل سلطان بنى عبدالواد بالسلام وإذا فشل فعليهم قبوله لاجئاً. راجع ابن أبى زرع الأنيس المطرب، ص ٣٩٠، ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص، السلاوى، الاستقصا، ج ٣، ص ٩٢، العيني: عقد الجماعات، ج ٤، ص ٤٣٣، الحريرى: تاريخ المغرب الاسلامى والاندلسى، ص ٩٣، مجلة الوثائق: مجموعة وثائق دورية الوثيقة

حاكم بجاية إليه للتفاوض معه وكذلك ارسل السلطان ابن اللحياني سفارته اليه من اجل التفاوض معه<sup>(١)</sup> وبعد ان شعر اهل بجاية وقسنطينة بالقلقل والخوف على مستقبلهم في ظل سيطره الوزراء على سلطانهم أبي يحيى أبى بكر الحفصي في بجاية والسلطان ابن اللحياني في تونس فقام وفد من شيوخ قبائلهم بالاستنجاد بالسلطان أبي حمو الزياني<sup>(\*)</sup> ضد سلطان بجاية وقسنطينة وعلى الفور بدأت الضربات والتحرشات الزيانية بأملالك الدولة الحفصية<sup>(٢)</sup> حيث استطاع السلطان أبو حمو موسى الزياني من محاصرة بجاية وتهديدها بالاحتلال وضمها للاملاك الزيانية<sup>(٣)</sup> ولكن مع فشل الحصار الانهم استطاعوا الاستيلاء على جبل ثابت عام ٧١٣هـ / ١٣١٣م وبنوا هناك مدينة وحصنا منيعا يسمى تامز يزدكت بالقرب من بجاية<sup>(٤)</sup> من اجل ان تكون

٩٩، ص ٣٠١، المبروك غنية، المرجع السابق، ص ١٨٢-١٨٣.

(١) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٥، المطوى: السلطنة، ص ٣٢٣، برنشفيك، افريقية، ج ١، ص ١٦٢.

(\*) موسى بن عثمان بن زيان: هو أبو حمو بويج بتلمسان بعد أخيه محمد في يوم الاحد ٢١ شوال عام ٧٠٧هـ / ١٣٠٧ بعد رفع الحصار عن تلمسان، وكان مشهوراً بالحزم والشجاعة والاقدام وكانت دولته عشر سنوات راجع ابن الاحرر: روضة النسرين، ص ٥٢، يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ٢١٢، عبد القادر بوطبل، تاريخ مدينة حمو موسى، ص ٢٨، عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٤، ص

١٦-١٧

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٥، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٢، المطوى، السلطنة، ص ٣٢٣

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٥-٧٤٦

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٤٥-٧٤٦.

بمثابة القاعدة العسكرية تنطلق منها للهجوم على الاملاك الحفصية من الناحية الشرقية<sup>(١)</sup> ودخلت العلاقات الحفصية الزيانية مرحلة جديدة في عهد السلطان أبي العباس الحفصي، فكان انتصار أبي العباس الحفصي على ابن عمه أبي عبدالله محمد، مما جعل السلطان أبو حمو الياني يتدخل في شئون الدولة الحفصية لوجود مصاهرة بينه وبين أبي عبدالله صاحب بجاية والد زوجته، ولكن السلطان الزياني كان هدفه توسيع مملكته وتحقيق مكاسب ونفوذ سياسي له.

فأعد جيوشه وتحرك الى بجاية للاستيلاء عليها<sup>(٢)</sup> وشدّد الحصار على المدينة<sup>(٣)</sup> وهنا كان السلطان أبو العباس ووزراؤه داخل المدينة، فأشاروا عليه بتعين أحد أقارب أبي حمو الزياني سلطاناً لبني عبدالوادر حيث كان الأمير معتقلاً عنده في قسنطينة وهو أبو زيان بن عثمان بن عبدالرحمن<sup>(٤)</sup> ويرجع

(١) عبدالمرضى محمد عطوه زايد: دولة بني زيان، ص ١٠٧

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٠؛ يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ٢، ص ١٥١؛ المطوى: السلطنة، ص ٤٥٥؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١٤

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٠؛ يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ٢، ص ١٥١؛ عبدالعزيز الفيلاي: المرجع السابق، ج ١، ص ٥٨.

(٤) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦؛ المطوى: السلطنة، ص ٤٥٥؛ عبدالعزيز فيلاي: تلمسان في العهد الزياني (دراسه سياسيه، عمرانيه، اجتماعيه، ثقافيه) موقع للنشر، الجزائر (د.ت) ج ٢، ص ٥٣ كان أبو زيان بن عثمان قد هرب من تلمسان نتيجة لبعض اضطرابات في الدولة الحفصية ولجأ الى الوزير الحفصي ابن تافراجين والسلطان أبي اسحاق إبراهيم وفي عهد السلطان أبي العباس تم وضعه في تونس ليكون موجوداً عند الحاجة اليه وبقي عنده حتى جاءت فرصة هجوم أبو حمو الزياني على بجاية فأخرجه السلطان أبو العباس

الفضل لهذه الخطة أساسًا إلى الوزير ابن تافراجين الذى فكر فى احتجاز الامير الزيانى لديه فى قابس عندما كان مسيطرًا على أمور السلطة الحفصية من أجل المساومة مع بنى زيان عند محاولة الاقتراب من الاراضى الحفصية.

ونجحت خطة الوزير ابن تافراجين عندما طبقها السلطان أبو العباس أحمد عندما أمر بإطلاق سراح أبى زيان بن عثمان وأمر مولاه وقائد جيوشه بشيرًا بأن يخرج معه<sup>(١)</sup> لمواجهة سلطان بنى عبدالواد الذى تحلى عنه مسانديه من القبائل مثل قبائل زغبة التى أنضمت الى السلطان أبى العباس أحمد ووزائه وصنيعته أبى زيان بن عثمان الذى انهزم شر هزيمة وهرب الى تلمسان يجر اذيل الهزيمة بعد ان قتل الكثير من جنوده فى هذه الحرب، واستولى الجيش الحفصى على امواله وسلاحه جميع مؤنه<sup>(٢)</sup>.

وبذلك قضى السلطان أبو العباس أحمد على على خصمه من بنى عبدالواد بمساعدة وزرائه المخلصين بالإضافة الى حركة الوزير ابن تافراجين المستبد بأمور الدولة فى الفترة التى سبقت السلطان أبا العباس احمد.

ودخلت العلاقات الحفصية الزيانية فى صدام اشد وأعنف فى عهد

ونادى به سلطانًا على تلمسان راجع ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٦٠؛ يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ١٣.

(١) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون: ص ١٠٠؛ يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج ٢، ص ١٨٢.

(٢) ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٨٨٦؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٥ هامش، الفيلاي: المرجع السابق، ج ١، ص؛ عبدالمريض محمد عطوه زيدان: دولة بنى زيان رسالة غير منشورة آداب القاهرة، ص ٤٨.

السلطان أبى عمرو عثمان ووزراؤه المتقدمين لسياسته والمشجعين له على توحيد بلاد المغرب تحت حكمه بسبب اضطراب الاوضاع في بلاد المغرب وخاصة الدولة الزيانية التي تميزت بكثرة الاضطرابات والانقسامات<sup>(١)</sup> وكان للاستقرار الذي وفره الوزراء للسلطان أبى فارس عبدالعزيز دوره في التدخل في شئون بنى زيان وتوسيع نفوذه على بلادهم، فتحرك بجيوشه بصحبة وزراؤه عام ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م نحو تلمسان للاستيلاء عليها<sup>(٢)</sup> بحجة سوء اخلاق سلطانها وعدوانيته وشدد عليها الحصار وبرز دور وزراؤه في هذه الحملة.

من الشجاعة والثبات وحسن الطاعة وعلى الفور هرب السلطان الزياني تاركا المدينة تحت سيطرة السلطان الحفصي ووزراؤه<sup>(٣)</sup> الذين مكثوا في تلمسان مدة قصيرة ينظم احوالها ويجمع جبايتها بواسطة وزير الجباية ثم عين عليها محمد بن تاشفين الثاني العروف بابن الحمراء<sup>(٤)</sup> وذلك في منتصف جمادى الثانية / منتصف مايو ١٤٢٤، وأشار على وزراؤه بشأن الغاء دوله بن

(١) المطوى: السلطنة، ص ٥٧٠.

(٢) التنسي: الدرر والعقبان في شرف بن زيان، مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٨٦٦١ ج، ورقة ٦٥، تاريخ الجيلانى الجزائر العام، ج ٢، ص ١٨٩؛ المهدي بن شهرة: تاريخ وبرهان لمن حل بمدينة وهران، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، ج ١، ٢٠٠٧، ص ٩٥٩.

(٣) التنسي: نظم الدرر، ص ٢٣٦؛ الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٠؛ برنشفيك: المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٠٩، ١١٠؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٧؛ يحيى بو عزيز: الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيلة ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٧، ج ١، ص ٢٣١.

زيان ولكنهم فضلوا ان تكون دولة تابعة له خاضعة للسلطان الحفصي وأشاروا عليه وزرأؤه بضروره السيطرة على سلاطين بنى عبدالوادر لانهم يتميزون بكثرة الثورات ضد الدولة الحفصية، مما يرفع منزلته ويحقق هيمنته على ميراث الموحدين<sup>(١)</sup> وعندما سيطر محمد بن أبى تاشفين بن الحمراء على مقاليد البلاد الزيانية وخضعت له جميع البلاد بدأ يتطلع الى الانفصال والانقضاض عن السلطان الحفصي ووزرأؤه وقطع الخطية باسم السلطان الحفصي واستعد لمحاربتة وجمع حوله القبائل العربية والزيانية وحصن عاصمته، وعلى الفور أمر السلطان أبو فارس عبدالعزيز ووزرأؤه وقائد قسطنطينية وجيوشه بالتحرك فى حدود سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٩م الى تلمسان<sup>(٢)</sup> ومعهم محمد عبدالوادر الزياني السلطان السابق ولكن هزم جيش السلطان الحفصي ولكن تمكن عبدالواحد من دخول العاصمة بعد ذلك بقليل.

من دخل العاصمة الزيانية وأعلن تبعيته للسلطان الحفصي<sup>(٣)</sup> ثم خرج هذا الامير على السلطان مما جعل السلطان يخرج بصحبه وزرأؤه وجيوشه فى عام ٨٣٤هـ / ١٤٣٢م ودخل تلمسان بعد ان شدد عليها الحصار وقام اهل البلد بفتح الابواب له وطلبوا الامان مخفياً عنهم وقبض على الامير محمد وعاد السلطان ووزرأؤه الى الحضرة ٨٣٥هـ / ١٤٣٢م ومعه الامير محمد فاعتقله

(١) برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٧.

(٢) المطوى: السلطنة، ص ٥٨٦؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٧؛ الفيلالى: المرجع السابق،

ص ٧٠

(٣) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٢٨؛ المطوى: السلطنة، ص ٥٨٦؛ ٥٨٧؛ برنشفيك: المرجع

السابق، ج ١، ص ٢٥٧.

بقصبة وبقي بها الى ان توفي سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٧م<sup>(١)</sup>.

وفي عهد السلطان أبي عمرو عثمان ظلت العلاقة مع تلمسان كما كانت في عهد السلطان أبي فارس عبدالعزيز، ولكن حدث<sup>(٢)</sup> ما جعل السلطان أبو عمرو عثمان يأمر كبير وزرائه محمد بن أبي هلال بإعداد وتجهيز الجيوش، وكان هذا الجيش عظيم المدد غير معروف العدد<sup>(٣)</sup> واثناء سير الجيوش الحفصية في شوال ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م توفي كبير الوزراء محمد بن أبي هلال في قسنطينة، وفقد واحداً من اعظم وزرائه المخلصين له، صاحب الايدي البيضاء في جميع انجازات هذا السلطان العظيم وحضر السلطان دفنه، ثم واصل مسيرته نحو الغرب حتى وصل قبائل بنى راشد على مسافة يومين من تلمسان وانضمت اليه عرب سويد وبنو يعقوب والذواودة واعلنوا طاعتهم وفروض الولاء واستمر السلطان في زحفه مع وزرائه وجيوشه نحو تلمسان وهدد اهلها وصاحبها بالحصار فأدرك المتوكل بالله بن السلطان أبي عمرو

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٩؛ ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٧٦ قايد مولود: البريز عبر التاريخ من الكاهنة حتى العهد التركي: ترجمة إبراهيم سعدى، دار النشر ميموني تونس ٢٠٠٧ ص ٢٣٤.

(٢) حيث خرج على الامير أحمد العاقل الذي وله السلطان أبو فارس عبدالعزيز على تلمسان، احد احفاد اخيه يسمى محمد بن أبي ثابت الزياني فتغلب عليه واخرجه من البلاد واستولى على تلمسان وتلقب بلقب ((المتوكل على الله)) واعلن انفصاله عن الدولة الحفصية بينما هرب أحمد العاقل الى الاندلس راجع المطوى: السلطنة، ص ٦٢٩.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٥٣؛ المطوى: السلطنة، ص ٦٢٩؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٥٧؛ المهدي بن شهرة: تاريخ وبرهان عن حل بمدينة وهران، دار الريحانيه للكتاب: الجزائر، ج ١، ص ٢٠٠٧، ٩٤٣، ٩٦٠-٩٦١.

عثمان، وبادر بأرسال وفد على رأسه أحمد بن الحسن الصوفي والفقيه محمد بن أبي أحمد العقباني وعلى بن حمو بن أبي تاشفين خال المتوكل<sup>(١)</sup> من أجل التفاوض معه وتقديم فروض الولاء والطاعة وذكر اسمه في خطبه الجمعة كسلطان على تلمسان والبلاد وضرب العملة بأسم السلطان الحفصي وأرسلها إليه<sup>(٢)</sup> فأقال السلطان الحفصي وزراؤه وعادوا الى تونس، وكانت للظروف الجوية السيئة ان هلك الكثير من جيوشه<sup>(٣)</sup>.

ولكن تلك التبعية والخضوع للسلطان الحفصي لم تستمر طويلاً إذ بادر المتوكل بالاستقلال عن السلطان الحفصي وخلع طاعته واستبد بالحكم ونقض البيعة والعهد<sup>(٤)</sup>.

وتوفدت على السلطان أبي عمرو عثمان ووزراؤه وفود الاعراب يطلبون منه التحرك الى تلمسان وبالفعل أمر السلطان وزراؤه بإعداد وتجهيز الجيوش وارسل في شوال ٨٧٠ هـ بقيادة محمد بن فرح الجبائي وجعل صاحب مشاورته ومدير أمره الى الشيخ أحمد البنزرتي ومعهم امير زياني يسمى أبو جميل زيان ثم تحرك السلطان بصحبة وزراؤه وجيش آخر الى تلمسان وشدد الحصار على المدينة، وقاتل الامير الزياني ورجاله اشد قتال، وتحصنوا بالاسوار والمراجع والسهم، وامر السلطان وزراؤه بهدم الاسوار والسيطرة على البلد في صبيحه

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) ابن عبدالباسط: الروض الباسم، تحقيق برنشفيك، ص ٦٩-٧٠؛ المطوى: السلطنة، ص ٣٢٠؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩١.

(٣) المطوى: السلطنة، ص ٦٣١؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩١.

(٤) المطوى: السلطنة، ص ٦٣٢.

تلك الليلة لولا غزارة الامطار<sup>(١)</sup> وعندما شعر الامير الزيانى بصعوبة موقفه ارسل وفداً ببيعة مكتوبة، يقر فيها بتبعيته للسلطان الحفصى أبى عمرو عثمان والسيادة الحفصية على بلاده

وكتب كتاباً بخط يده يشهد عليه رجال كبار ورجال دولته ويقول الزركشى<sup>(٢)</sup> فى ذلك ((شهد على نفسه عبدالله المتوكل عليه محمد لطف الله به ولا حول ولا قوة الا بالله)) وأعطى ابنته بكرًا للمولى أبى زكرياء ابن المولى المسعود<sup>(٣)</sup> دون خطبه فقبل السلطان راجعاً الى حضرة تونس فى شعبان ٨٧١هـ / ١٤٦٦م<sup>(٤)</sup>.

وبعد أبى عمرو عثمان دخلت البلاد فى فوضى وانهار وضعف السلاطين الحفصيين وظلت تحتفظ بأسمها فقط بينما نخرت عوامل الضعف والانهار فى جسدها وتفككت نقلت وحدتها بين أمراء البيت الحفصى حتى اصبحت مطمع للبلاد الاخرى حتى دخلها الاسبان وتنازلوا لهم عن وهران عام ٩٤٠هـ / ١٥٠٤م، حتى دخل الاتراك البلاد وانتهى النفوذ الحفصى فى المغرب الاوسط<sup>(٥)</sup>.

(١) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٣) هو ولى العهد ولم يأتى مثله من بنى حفص مثله من عفاف وديانه وبر وأمانه راجع ابن الشماخ: المصدر السابق، ص؛ ابن أبى دينار: المصدر السابق، ص ١٧٩، المطوى: السلطنة: ٦٤٠-٦٤١.

(٤) الزركشى: المصدر السابق، ص ١٥٨؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩١؛ عبدالعزيز فيلالى: تلمسان، ج ١، ص ٧٣.

(٥) يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص ٢٠٣؛ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٣١٠؛ المهدي

## دور الوزراء في العلاقات الحفصية المرينية

لعبت الظروف السياسية دورًا كبيرًا في العلاقات بين الدولتين الحفصية والمرينية خاصة، ومجريات الأحداث في منطق المغرب والأندلس عامة، ولكن الاستقلال الحفصيين بأفريقية عنه ولدولة الموحدية قبل غيرهم من الدول المجاورة من مرينين وبني عين الواد، قد ساهم الشكل في اعتراف الدولة المرينية الناشئة على مسمع الأحداث السياسية بالتبعية للدولة الحفصية، وساعدها على ذلك ضعف الموحدية في المغرب الأقصى وهزيمتهم في موقعة نكور<sup>(١)</sup> بقيادة الأمير عبد الحق المريني<sup>(٢)</sup> وأعلنت الدولة الحفصية عن نفسها

بن شهرة: المرجع السابق، ص ٩٤٣، ٩٦٠-٩٦١.

(١) ابن أبي زرع: الزخيرة السنية، ص ٢٨، الانيس الطرب، ص ٢٧٢-٢٧٣ لسلاوي: الاستقضا، ص ٣، ص ٦٠٥ - أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية معجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، ص ١، ٨٩، يحيى بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر، المطبوعات الوطنية الجزائرية، ط ١، الجزائر ١٩٦٥، ص ١، ١٢، مراجع عقيلة الغناي: سقوط دولة الموحدية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا ٣٤٨٨، ص ٢٦٧، ليفي يروفسال: نخب تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى، باريس، ١٩٤٨، ص ٧٦

\* وادي نكور: يقع هذا الوادي بين رباط تازة بقمر مده وتقع عليه مدينة نكور وهي عامرة بالأسواق والبساتين، راجع البكري: المغرب ص ٩٠ - ٩٤ الحميري الروض المعطار، ص ٥٧٦.

(٢) عبد الحق المريني: هو عبد الحق من محيو بن أبي بكر بن حمادة بن محمد بن مرين وكنيته أبا محمد، وكان أبيض اللون طويل القامة بعيد المنكبين حسن الوجه فارسًا تقيا ورعا عادلاً يحب السالكين ويحنون على الفقراء ولد بأرض الزاب بأفريقية عام ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ و قتل في ٢٢ جمادى الثانية عام ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م، راجع ابن الأحمر: روضة التسرين ص ١٤-١٥، النفحة النصرية، ص ٣٣، ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص ٢٨٤-٢٨٧، محمد اسماعيل: المرجع السابق، ص ٤٠.

عندما عملت على توحيد بلاد المغرب حتى قيامها في الوقت التي كانت فيه الدولة الموحدية بقيادة الرشيد الموحيدي (٦٣٠هـ - ٦٤٠هـ / ١٢٣٢ - ١٢٤٢م) تحتضر، فقام الحفصيون بمساعدة وزرائهم بتوسيع رقعة دولتهم إلى ركاية وقسطيطينة شرقاً بما تحويه من موارد بشرية واقتصادية كل هذا أعطاهما قوة فاعترفت الدولة المجاورة بالتبعية للدولة الحفصية<sup>(١)</sup> وكانت للقوة الإسلامية الحفصية ووزرائهم المخلصين دور عظيم في المنطقة إبان الطور الأول الذي تميز بالقوة واتساع النفوذ، حيث كان السلطان ابوزكرياء ووزرائه يسعون دائماً استقلال تونس الحفصية وعدم الانصياع للدولة الموحدية المختصرة التي تفككت عراها بالتوراث من الأندلس إلى المغرب<sup>(٢)</sup> ومع قوة السلطان المستعصر الحفصي ووزرائه الذين استهلوا بيعتها بني مرين فاس سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م حيث أكرم السلطان المستعصر الحفصي ووزرائه رسول السلطان المريني، وكان لهذا البيعة أثرها على السلطان الحفصي والذي

(١) الزركشي المصدر السابق، ص ٢٣-٢٥، عاشور بوشامة: المرجع السابق ص ١٧٢ /

محمد اسماعيل: المرجع السابق ص ٤١

(٢) محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص ١٥ حيث يحد السلطان المريني أبوبكر بن عبدالحق يصيغ على حروبه ضد لموحدين في المغرب الأقصى الشرعية بولائه للحفصيين وتحرك للاستيلاء على مدى المغرب الأقصى. راجع ابن غازي: الروض العمتون، مخطوط، ورقة ١٤، ابن أبي زرع: الانيس المطرب ص ٢٩٢-٢٩٣، الزخيرة، ص ٧٢، ابن خلدون: العبر، ص ٧، ص ١٣، ص ٣٥٢-٣٥٣، السلاوي: الاستعصا، ص ٣، ١٣ مجهول: الجلل الموشيه، ص ٧٤، السيد سالم: المرجع السابق، ص ٨٦٩، جوليان: المرجع السابق، ص ٢،

استقبلهم هو وزراؤه بالحفاوة والتكرم والترحاب<sup>(٢)</sup>.

وظل وزراء السلطان المستعصر الحفصي يقومون بدورهم الفعال في بلاد المغرب والأندلس حتى أرسل السلطان المريني يعقوب<sup>(٣)</sup> الحكم بعد وفاة أخيه أبي يحيى مبايعته للسلطان الحفصي مع وفد كبير وهدايا ثمينة، وطلب من السلطان المستنصر ووزرائه إعانته ومساعدته ضد الموحيدين من أجل القضاء عليهم<sup>(٤)</sup> وأدى الوزراء دورًا هامًا في تبادل السفارات بين البلدين<sup>(٥)</sup>.

واستقبل السلطان المستنصر ووزرائه سفارة مرينية من السلطان أبو يوسف يعقوب تحمل كتابًا من السلطان المريني يخبر فيها السلطان الحفصي باستيلائه على مراکش وقتل أبي دبوس الموحيدي<sup>(١)</sup> وظلت المراسلات

(٢) ابن خلدون: العير، ص ٦، ص ١٢، ص ٦٥١

(٣) يعقوب بن عبد الحق: لقب بالقائم بأمر الله والمقصود به وكنيته أبا يوسف، وكان أبيض اللون معتدل الجسم حسن الوجه والصورة، أشيب تاب فارسًا شجاعًا يوبع عام ٦٠٦هـ / ١٢٥٨م وتوفي بالجزيرة الخضراء بالأندلس في ٢٢ محرم عام ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م راجع ابن الأحرر: روضة السرين، ص ١٧-١٩ النفحة النصرية، ص ٣٦-٣٨، ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص ٢٩٧-٢٩٩، ابن مرزوق: السند، ص ١١٥-١١٦

(٤) محمد المطوي: السلطنة، ص ١٨٧

(٥) الغبريني: عنوان الدراية، ص ٧٤-٧٥

(١) ابودبوس الموحيدي: هو أبو العلاء إدريس من السيد محمد بن السيد عمر من أمير المؤمنين عبد المؤمن من علي، قسم تأييد المؤمنين وتلقب بالواثق بالله، وكان أبيض اللون أشقر، شجاعًا، أديبًا عفيفًا وابن أبي زرع: المصدر السابق ص ٢٥٩، ٢٦١ ابن عذارى المركشي: البيان المغرب: قسم الموحيدين، ص ٤٤٥.

والسفارات عن طريق الوزراء الحفصيين بين الدولتين على مايرام<sup>(١)</sup> حيث أرسل المستنصر الحفصي إحدى وزرائه مع وفد إلى فاس عاصمة المرينيين عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م بعد رحيل حملة لويس عن تونس، ليخبر السلطان المريني بنتائج هذه الحملة<sup>(٢)</sup> وأرسل السلطان المستنصر سفارة أخرى إلى فاس ستة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م بعدما سيطر المرينيون على المغرب الأقصى وقضوا على بقايا الموحيدين من أجل تهنته للسلطان المريني بالانتصار<sup>(٣)</sup>.

ومع نهاية فترة حكم المستنصر ووزرائه الأقوياء مثل محمد بن الحسين الوزير الأكبر<sup>(٤)</sup> والوزير أبي يزيد من جامع والوزير أبي عبدالله محمد بن أبي مهدي الهتناني الذين كان لهم دور كبير وفعال في التوسع والنفوذ والاشعاع الحضاري في جميع المجالات وبقاء الدولة المجاورة لها على التبعية للحفصيين وذكر اسم السلطان الحفصي في خطبة الجمعة وكانت فترة حكم السلطان الواثق هي بداية التحول من القمة إلى الهواية حيث ضعف السلطان وسيطرة الوزراء على مجريات الأمور في الدولة الحفصية التي انهارت أمام الأزمات والأحداث التي مرت بالدولة أبان فترة حكم هذا السلطان<sup>(٥)</sup> حيث اشتد الصراع على الحكم والتنافس بين الوزراء فخلع المرينيون طاعة

(١) ابن القنفذ: المصدر السابق، ص ١٣١.

(٢) ابن خلدون: العير، ص ٦، ص ١٢، ص ٦٦٣.

(٣) عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص ١٧٨-١٧٩.

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١١٨.

(٥) المطوي: السلطنة، ص ٢٢٧.

الحفصيين<sup>(١)</sup> ومع ذلك استمر السلطان الواصل على علاقاته مع السلطان المريني أبي يوسف يعقوب المريني حيث أرسل إليه سفارته وهدايه أبي فارس من أجل تدعيم العلاقات بين الدولتين ومواجهتها بوجه الفتور في العلاقات بين الدولتين.

ولكن مع شدة ضعف الحفصيين بسبب الصراع بين الوزراء على السيطرة على السلطان وانتشار الدسائس بينهما وبدأ المرينيون التطلع نحو المغرب<sup>(٢)</sup> فقاموا بحصار تلمسان سنة ٦٩٥ هـ في حين كان الصراع بين الوزراء الحفصيين وبعضهما البعض على أشده حيث التقت قوات السلطان الحفصي على الوزير الأكبر عبدالحق بن سليمان في صفر من نفس العام بتأييد ومباركة ابن اللحياني ولذا تولى منصب الوزير الأكبر للسلطان الواصل وهرب أبناء الوزير السابق عبد الحق بن سليمان وهما محمد وعبدالله إلى السلطان المريني أثناء حصاره لتلمسان<sup>(٣)</sup> وأصبح الوزير الأكبر بن اللحياني في عهد السلطان أبي عصيدة هو رئيس الدولة الفعلي ولذا ارتكب هو وجيوشه أفظع الأعمال الوحشية من قتل وتنكيل بالأهالي وبث الرعب والهلع في نفوسهم أثناء مهاجمة إمارة بجاية المنشقة عن الدولة الحفصية.

فقام الوزير ابن اللحياني بتبادل المراسلات والسفارات والهدايا إلى

(١) السلاوي: الاستفصاء، ص ٣، ص ٢٨-٢٩

(٢) عاشور بوشامة: المرجع السابق ص ١٨١.

- E. Alexander Powell: In Barbary. Tunisia, Algeria, Moraco, and the Sahara. London, P. ٣٣٤.

(٣) ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٢

السلطان المريني يوسف ابن يعقوب بفاس بهدف القضاء على الدولة الزيانية و سلطان بجاية المنشق وبالفعل استجاب السلطان المريني ولذا تحرك إلى بجاية بجيوشه التي لم تستطع دخول المدينة ولكنهم عاثوا فيها الفساد ونشروا الرعب والفرع بين سكان المنطقة<sup>(١)</sup> ومع قوة ونفوذ الوزير الأكبر ابن اللحياني والذي كان يعتبره السلطان المريني أولى بالخطاب والمراسلة من السلطان أبي عصيدة الذي كانت سلطاته متقلصة بسبب سيطرة الوزراء عليه<sup>(٢)</sup> فكان السلطان يوسف ابن يعقوب يكتب السلطان أبي عصيدة تعريض ويكتب رئيس الوزراء تصريحاً<sup>(٣)</sup> لأن الوزير الأكبر قد أرسل الوزير أبا عبدالله من أكمازير إلى فاس محملاً بالهدايا بين الطرفين أثناء حصار تلمسان<sup>(٤)</sup> وكان لاتصال المرينين بالسلطة الحفصية عن طريق كبير الوزراء ابن اللحياني دور كبير في معرفة مواطن الضعف والقوة في الدولة الحفصية<sup>(٥)</sup> وظل كبير الوزراء ابن اللحياني يحرص السلطان المريني من خلال سفاراته ومراسلاته بمهاجمة بجاية واحتلالها<sup>(٥)</sup>.

وبعد توحيد الدولة الحفصية سنة ٧٠٩ هـ ١٣٠٩ م بقيادة سلطان أبي البقاء خالد بعد مقتل السلطان أبي بكر بن عبد الرحمن الملقب بالشهيد<sup>(٦)</sup> وإذ

(١) ابن خلدون: العبر مج ٦، ص ١٢، ص ٧١٤ المطوي: السلطنة ص ٢٩١

(٢) ابن خلدون: العبر مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣

(٣) المصدر السابق: مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٥

(٤) المصدر السابق: مج ٦، ج ١٢، ص ٧١٣-٧١٥ عاشور بوشامة المرجع السابق ص ١٨٥

(٤) عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص ١٨٦

(٥) المطوي السلطنة: ٢٩٥

(٦) الزركشي: المصدر السابق: ص ٢٩ ابن خلدون العبر، مج ٦، ج ١٢، ص ٧٣٤

تم تبادل السفارات بين بجاية وفاس<sup>(١)</sup> ومن هنا نجد أن الوزراء الحفصيين لعبوا دورهم في الحفاظ على العلاقات مع المرينيين وعدم توترها<sup>(٢)</sup>.

وظهر على الوجود وزير آخر كان له بيع كبير في العلاقات الحفصية المرينية في عهد السلطان أبي بكر بن يحيى الحفصي (٧١٨-٧٤٧هـ / ١٣١٨-١٣٤٦م) وهو الوزير الحاجب ابن تفراجين الذي تدرج بسرعة في المناصب القيادية في الدولة الحفصية حيث وثق به السلطان وأرسله في سفارة خاصة للسلطان المريني أبي سعيد المريني<sup>(٣)</sup> عام ٧٣٠ مع ابنه الأمير الحفصي أبي زكرياء الحفصي على رأس سفارة للاستنجاد به ضد بني عبد الواد أصحاب تلمسان<sup>(٤)</sup> ولعب الوزير ابن تفراجين دورًا عظيمًا في توطيد العلاقات الحفصية المرينية، وعقد تحالفًا بينهم كان للجانب الاجتماعي اليد البيضاء في تلك

(١) ابن القاضي: درة الحجال ج٢، ص ١٠١-١٠٢ عاشور بوشامة: المرجع السابق ص ١٨٩

(٢) عاشور بوشامة: المرجع السابق ص ١٨٩.

(٣) ابوسعيد عثمان هو أعظم سلاطين بني مرين حيث وصلت الدولة في عهده إلى قمة ازدهارها السياسي والاقتصادي والثقافي وخضعت له جميع القبائل والفقهاء والقضاء وهو والد السلطان أبي الحسن المريني والأمير أبو علي عمر راجع ابن خلدون: العبر ج٧ ص ١٣، ص ٥٠٣ - ابن أبي زرع: الأنيس المطرب ص ٣٩٦، السلاوي: الاستقصا ج٣ ص ١٠٤، ابن مرزوق المسند ص ١٢٣، الحسن ابن الحبيب (الحسن ابن عمر ابن حبيب) تذكرة النبیه في أيام المنصور وبنیه ت محمد محمد أمين راجعه سعيد عاشور - الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٧٦، ج٢، ص ٣٥، أبو الفدا (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن محمد) المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية - القاهرة ١٩٦٢ ج٤، ص ٧٨، احسان حقي المغرب العربي، ص ٩٣، الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٥٤، ألفريد بل: المرجع السابق ص ٣٠٧، إبراهيم حركات المرجع السابق، ص ٣٥.

(٤) الزركشي: المصدر السابق ص ٦٧-٦٨.

المعاهدة حيث قام الوزير ابن تفراجين باتخاذ المصاهرة سلاحاً من أجل إتمام هذا التحالف الحفصي المريني ضد بني زيان أصحاب تلمسان فزواج الحرة فاطمة ابنة السلطان أبي بكر الحفصي من الأمير أبي الحسن على ابن السلطان أبي سعيد المريني سنة ٧٣١ هـ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ م<sup>(١)</sup> وكذلك خرج الوزير الحاجب ابن تفراجين إلى السلطان المريني أبي الحسن كسفير للمرة الثانية سنة ٧٣٥ هـ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ م من أجل تجديد المعاهدة السابقة وتوثيق عرى التحالف بين الحفصيين والمرينيين ضد العدو الزياني بتلمسان المتربص بحدود الدولتين<sup>(٢)</sup> ومن أجل ذلك كان له دور عظيم من أجل إتمام المصاهرة الثانية بين الحفصيين والمرينيين من أجل توثيق عرى التحالف بينهما عندما أقنع السلطان الحفصي أبي بكر سنة ٧٤٧ هـ - ١٣٤٦ م بضرورة إتمام هذا الزواج من الحرة عزونة ابنة السلطان أبي بكر من السلطان أبي الحسن المريني وذلك بعد مقتل أختها فاطمة أثناء معركة طريف<sup>(٣)</sup> في الأندلس والتي هزمت فيها

(١) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد ج١، ص ٢١٨، الزركشي: المصدر السابق: ص ٦٨، حسن حسني سليمان: خلاصة تاريخ تونس، ص ١٢٧، رضوان البارودي سفارات متبادلة بين أبي زيان وأرجوان دار نشر الثقافة - الاسكندرية ص ٤٣ / ١٩٨٤، المطوي: السلطنة ص ٣٤٤ - ٣٤٥ / مارسية (بلاد المغرب وعلاقتها بالشرق الإسلامي) - ترجمة محمود هيكل - الاسكندرية ١٩٩١ ص ٣٤١ - ٣٤٢، برنشفيك المرجع السابق: ج١، ص ١٧٩ - ١٨٠

(٢) الزركشي: المصدر السابق ٧٣، كمال السيد أبو مصطفى - دراسات مغربية وأندلسية ص ٥٦  
(٣) وقعت هذه المعركة بين جيوش أبي الحسن المريني وجيوش قشتالة يوم الاثنين السابع لجماد الأولى ٧٤١ هـ - ١٣٤٠ م وكانت الهزيمة ساحقة ومصيبة جيوش أبي الحسن أشد وكان النصر حليف ألفونسو الحادي عشر واستشهد عدد غفير من المسلمين وكان لأبو الحسن دوراً بطولي رائع في هذه المعركة وقتل واستشهد عدد منهم مثل الوزير أبو ثابت عامر

السلطان أبي الحسن المريني سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م من قشتاله<sup>(١)</sup> وكان صداق عزونه من قبل السلطان المريني أبو الحسن ١٥ ألف دينار ذهباً ومائتي خاتم<sup>(٢)</sup> وكان الوزير ابن تافراجين صاحب بعد نظر وحنكة سياسية، حيث بذل جهوداً عظيمة لإقناع السلطان الحفصي أبي بكر بالموافقة على هذه المصاهرة لأنها تعتبر هي السند القوي الذي يوطد علاقته وصداقته بالسلطان أبي الحسن ليكون عوناً وملجئاً آمناً له في حالة تقلب الأحوال بالحاضرة تونس، أو حدوث ما يعكر سيطرته على السلطان وينقلب السلطان عليه، بالإضافة إلى مساعدة السلطان المريني إلى صهره في حالة أي حرب داخلية أو خارجية<sup>(٣)</sup>.

وبالفعل حدث ما كان يخشاه الوزير ابن تافراجين عندما تغيرت علاقة السلطان أبي حفص معه بسبب الواشيات والغيرة بين الوزراء الحفصيين وقام

---

السدراني وأبوالمجاهد غازي بن الكاس، راجع ابن خلدون: العبر مج ٧، ج ١٣، ص ٢٦١-٢٧٢ / المقرئ: نفح الطيب، ج ٥ ص ١٥، ابن الخطيب: الاحاطة ج ٤ ص ٣٢٢، اللمحة البدرية، ص ١٠٩، ابن رضوان: الشهب اللامعة ص ١٢، ابن الخطيب: نفاضة الجراب ج ١ ص ٤٤، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٦ ص ١٢٧، المقرئ: السلوك ج ٢ ق ٣ ص ٦٧٠، البلوي: تاج المفرق، ج ١ ص ١٣٧، محمود السيد: تاريخ العرب في الأندلس، ص ٨٦، مقديش: نزهة الأنظار، ج ٢ ص ٥٧٢ المبروك غنية الأسطي: حركة الجهاد المشترك ص ٢٢٥، ضيا باشا: الأندلس الذهبية، ج ٣، ص ١٨٢، حوليات: تاريخ أفريقيا الشمالية ج ٢ ص ٢٣٠، سامية مسعد: الجهاد الاسلامي في الأندلس، ص ١٣١

- (١) ابن الخطيب: الاحاطة، ج ٤ ص ٣٢٢ ابن خلدون: العبر، مج ٦، ج ١١، ص ٢٦٦-٢٦٧
- (٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٧٦، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٣، مقديش: نزهة الانظار، مج ٢، ص ٥٧٢ برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٤
- (٣) السيد كمال أبو مصطفى: دراسات مغربية وأندلسية، ص ٥٨-٥٩

الوزير على الفور باستدعاء السلطان أبى الحسن المريني بالاستيلاء على إفريقية<sup>(١)</sup> وقام بتمهيد الطريق للسلطان أبى الحسن المريني وجيوشه بغزو إفريقية وتخلي عن السلطان الحفصي أبى حفص وهرب إلى السلطان المريني ليس اخلاصاً له ولكن من أجل الحفاظ على مطامعه ومناصبه السياسية دون النظر إلى مصلحة الدولة الحفصية الهشة أبان تلك الفترة<sup>(٢)</sup>.

وتحرك السلطان أبو الحسن المريني إلى تونس وهو راكب فسطاطه ومعه الوزير الحاجب محمد ابن تافراجين<sup>(٣)</sup> وتمكن الاستيلاء على العاصمة الحفصية في ٨ جمادي الآخرة سنة ٧٤٨هـ/ سبتمبر ١٣٤٧م وهرب السلطان أبو حفص الذي تم القبض عليه وقتل، واصطحب الوزير ابن تافرجين السلطان أبو الحسن المريني بأفريقية في جولته بقصور الحفصيين<sup>(٤)</sup> وعندما استقر السلطان

(٤) ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ٩٤. الزركشي: المصدر السابق: ص ٨٢، ابن أبى دينار

المصدر السابق ص ١٤٦، برنشفيك: المرجع السابق ج ١، ص ١٩٦-١٩٧

Josefa mutge lives algunas oticias sobre la relacions entereala corona catalano aragonesa Y EL reion de tunez. En actas del coloquio. Madrid. ١٩٨٨. P. ١٣٧

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٨٢، ابن الشماخ المصدر السابق، ص ٩٤-٩٥، ابن أبى

دينار: المصدر السابق، ص ١٤٥-١٤٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٢٦-

١٢٧، محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص ٩٥-٩٧.

- Bernard Lugan: Histoioire du moaroc, perrin/criterion, p. ١٢٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، مج ٧، ج ١٣، ص ٨١٢، الزركشي: المصدر السابق، ص ٨١، ٨٢،

السللاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٥٦، الأنصاري: فهرست الرصاع، ص ٢٨، مبارك الميلي:

تاريخ الجزائر، عبدالهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج ٧، ص ٢٨، أحمد مختار العبادي

والسيد عبدالعزيز سالم: تاريخ البحرية الاسلامية بحوض البحر الأبيض المتوسط ج ٢،

ص ٢٩٢، عبدالهادي التازي، ج ٧، ص ٢٨، برنشفيك: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٩٧

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن الشماخ المصدر السابق، ص ٩٧، السللاوي:

أبو الحسن المريني بإفريقية وجعل المغرب كله تحت سيطرة المرينين ولكنه قام بالضرب على أيدي القبائل العربية وانقص من جبايتهم وحرّمهم من خفارتهم التي كانوا يجمعونها من البلاد وبالتالي كانوا بمثابة الوضع المتأزم الذي لا علاج له فكانوا يتحينون الفرصة من أجل القضاء على القوة المرينية<sup>(١)</sup> وهذا الوضع كان يمثل للوزير ابن تافراجين نفس الشيء على الرغم من منح السلطان أبو الحسن المريني له الوزارة ولكنه لم يمنحه نفوذه السابق، ولم يفوضه في أمور الدولة كما كان في عهد سلاطين بني حفص الضعاف مما أثار غضب ابن تافراجين الطموح الذي كان يأمل في حكم الدولة الحفصية كما وعده السلطان أبو الحسن المريني، ولهذا ظل الوزير ابن تافراجين يتحين الفرصة للثورة على السلطان أبو الحسن وطرده من أفريقية واستعادة نفوذه القديم<sup>(٢)</sup> وكانت هذه الرغبة تتماشى مع العرب الذين أخذوا يغيرون على ضواحي الحاضرة تونس وقاموا بأعمال السلب والنهب والتخريب فحاربهم

الاستقصا، ج٤، ص ١٦٠-١٦١ المطوي: السلطنة، ص ٣٨٨-٣٨٩، برنشفيك: المرجع

السابق، ج١، ص ٢٠٠، السيد كمال أبو مصطفى: دراسات مغربية وأندلسية، ص ٦٣

(١) ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٣، ١٦٦، الزرهوني:

الملعبة، ص ١٨-٢٠، الأنصاري: فهرست الرصاع، ص ٢٠ هامش، السلاوي: الاستقصا

ج٣، ص ١٥٨، مصطفى، أبو ضيف: أثر العرب في تاريخ المغرب، ص ١٨٠-١٨١، محمد

الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، ص ٨٩، جوليان: تاريخ أفريقية الشمالية: ص ١٨٤،

الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، ص ١٢٠.

Bernard lugon: op.cit., P. ١٢٨.-

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤، ابن الشّاع: المصدر السابق، ص ٩٧، السلاوي:

الاستقصا، ج٤، ص ١٦٠-١٦١، المطوي: السلطنة، ص ٣٨٨-٣٨٩، برنشفيك: المرجع

السابق، ج١ ص ٢٠٠، رشا سالم: المرجع السابق ص ٢٠٠

السلطان أبو الحسن المريني ولكنهم انتصروا عليه وحاصروه عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م حصاراً شديداً بالعاصمة تونس<sup>(١)</sup> حيث هرب إليها السلطان المريني ووزراؤه للاحتماء بها<sup>(٢)</sup>.

وأثناء هذا الحصار طلب العرب من السلطان المريني أن يخرج لهم الوزير ابن تافراجين للتفاوض معهم بشأن رفع الحصار وكانت هذه الحيلة تهدف إلى إخراج ابن تافراجين بعيداً عن السلطان وضمه إليهم وبالفعل حدث ما توقعه الأعراب فخرج ابن تافراجين الوزير المحنك وانضم بالفعل إليهم<sup>(٣)</sup> وتخلّى الوزير عن السلطان المريني حيث عينته القبائل حاكماً لسلطانهم أحمد بن أبي دبوس وأرسلوا الوزير الحاجب مع السلطان لمحاربة السلطان أبي الحسن المريني المحاصر بتونس<sup>(٤)</sup>.

وقام الوزير الحاجب ابن تافراجين في تدبير الحيل وتشجيع القبائل العربية

(١) النباهي المالقي: تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٣٥، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج١، ص ٢٣٥، ابن الشجاع: المصدر السابق، ص ٩٦، السلاوي: الاستقصا، ج٤ ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج١، ص ٢٣٥، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص ١٦٢، مقديش نزهة الأنظار، ج١ ص ٥٢٧، جوليان: تاريخ إفريقية الشمالية، ج٢ ص ١٨٤، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤، الزرهوني: اللعبة، ص ٨٧ عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج٧ ص ٢٩-٣٠، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٤) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج١، ص ٢٣٥، السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص ١٦١، ابن رضوان الشهب اللامعة، ص ١٥، ابن دينار المصدر السابق، ١٦٩ الغنيمي المرجع السابق، مج١، ج٥ ص ٢٥٩.

من أجل الخروج للانتقام من السلطان المريني وطرده من تونس<sup>(١)</sup> وانضمت القبائل العربية وشيوخ الموحدون وبعض العامة إلى الوزير ابن تافراجين واتجهوا جميعاً إلى القصة وشدّدوا عليها الحصار<sup>(٢)</sup> وكان الأمر لدى الوزير ابن تافراجين عندما نصبوا المجانيق على القصة والجنود المرينون بها الذين صمدوا في وجه الحفصيين والوزير الطموح<sup>(٣)</sup> وعلى الفور فكر الوزير الفرار بنفسه عندما علم أن السلطان أبا الحسن خرج من القيروان إلى سوسة فتسلل من أتباعه العرب وركب إحدى السفن إلى الاسكندرية<sup>(٤)</sup> في ربيع الثاني ٧٤٩ هـ / ١٣٧٨ م<sup>(٥)</sup> وفي الصباح التالي أين المحاصرين المحاصرون من

(١) وذكر الزرهوني أن خروج الوزير ابن تافراجين على السلطان ابوالحسن المريني تعتبر خيانة حيث قام بحوار ذكره الزرهوني مع ابن خالد أحد مشايخ هؤلاء الأعراب وقال أحدهم للآخر: فكر في حيلة من الحيل الساسانية القوية تكون سبباً في زرع الفتنة ضد أبو الحسن فأجابه: لا سبيل للتخلص من ابوالحسن إلا بالايقاع بينه وبين الأعراب راجع الملعب، ص ٨٥-٨٨، الأنصاري فهرست الرصاع، ص ٣٠ هامش

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤-٨٨، يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ٢٣٥، السلاوي: الاستقصا ج ٣، ص ١٦١، ابن رضوان: الشهب اللامعة، ص ١٥، ابن دينار: المصدر السابق، ص ١٦٩، مقديش، نزهة الأنظار، مج ١ ص ٥٧٧، الغنيمي موسوعة المغرب، مج ٢، ص ٥٥، ص ٢٦٠، ٢٥٩ (٣) يحيى ابن خلدون: بغية الرواد، ج ١، ص ٢٣٦، الزركشي: المصدر السابق ص ٨٤، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٦١، ابن رضوان: المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ٢٦١، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٠.

(٥) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٤-٨٥، ابن الشماخ: الأدلة، ص ٩٧-٩٨، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٠، p٥٩، Terrase op-cit.

الحفصيين والعرب هروب الوزير فاضطرب أمر سلطانهم ابن أبي دبوس، فانقضوا على القصبة وأخرجوا ممن بداخلها وعندما علم المرينيون بذلك استولوا على البلد وخربوا منازل الحاشية التي بها<sup>(١)</sup>.

وعندما رحل السلطان الماريني أبو الحسن عن إفريقية عائداً إلى فاس، كانت الأحداث بأفريقية مهيئة لعودة الوزير ابن تافراجين بعد أداء فريضة الحج ومعه عمر ابن حمزة زعيم أولاد أبي الليل من عرب الكعوب واتفقوا على العودة إلى تونس والاستيلاء عليها من السلطان الفضل، واستطاعوا من خداع السلطان واعتقلوه ودخل ابن تافراجين تونس وبسط سلطانه عليه في ١١ جمادي الأولى سنة ٧٥١هـ/ يوليو ١٣٥٠م، وعزل السلطان الفضل وباع السلطان الطفل أبا اسحاق والذي تولى الوزير الحاجب ابن تافراجين كفالته<sup>(٢)</sup> وكانت العلاقة قد اشتدت سوءاً بين السلطان أبي عنان والوزير الحاجب ابن تافراجين بسبب الموقف السلبي للوزير في اتمام زواج السلطان أبي عنان من ابنة السلطان أبي بكر الحفصي ولذا رفض هذا العرض<sup>(٣)</sup> وكذلك قرر السلطان أبو عنان فارس التحرك على أفريقية والسيطرة عليها وبالفعل أرسل حملته إلى تونس واتجه إلى قسطينه حيث طلب السلطان الحفصي الأمان له

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٨٥، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ١٦١، مصطفى

أبوزيد: المرجع السابق، ص ١٨٢

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٠، ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٧٤، ابن الخطيب لللمحة

البدرية، ص ١١٩، ابن دينار المصدر السابق، ص ٤٨، القلقشندي: صبح الاعشى، ج ٥،

ص ١٢٧، محمد الهادي العامري: المرجع السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص ١٧٤

ولوزرائه فأعطاه إياه ولكن خاف السلطان أبو عنان من خروج السلطان الحفصي عليه فأرسله إلى سبته معتقلاً بها<sup>(١)</sup> ثم أرسل السلطان أبو عنان وفداً إلى الوزير الحفصي المستبد المسيطر على أمور الحكم من أجل دعوته للدخول في طاعتها والتنازل عن تونس، ورفض الوزير ابن تافراجين لاستجابة مطلب السلطان المريني حيث الخضوع والتسليم للمرينيين سيؤدي بالتأكيد إلى تخليه عن سلطانه كما حدث أثناء السلطان أبي الحسن المريني، حيث أدرك أن المرينيين يفضلون تولي وإدارة شئون بلادهم بأنفسهم ولا يقضون ذلك لوزراء أو حجاب البلاد التي يستولون عليها على العكس من طموحات الحاجب ابن تافراجين<sup>(٢)</sup> وعلى الفور قرر السلطان أبو عنان إرسال جيشاً برياً واسطول بحرياً من أجل الاستيلاء على عامة ولدولة الحفصية وتصدى لهم الوزير الحاجب ابن تافراجين بقواته في شعبان سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م<sup>(٣)</sup> وصمد في

(١) ابن خلدون: العبر، ج٧، ص ١٢، ص ٨٣٧-٨٤٠، السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص ٢٠١-٢٠٢، مارمول كريثال: إفريقية، ج٣، ص ٢٥، ابن تغري بردي (يوسف بن تغري بردي الأتابكي جمال الدين أبو المحاسن): المتحمل الصافي والمستوفي بعد الصافي، حققه ووضع حواشيه، محمد محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ج٢، ص ١٠٦، ١٠٧، محمد بن تادويت: تاريخ سبته، ص ١٤٢.

- Varbau Nevil, Morocco, Thams and Hudson, London, ١٩٦٥, P. ١٣٦.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٦-٩٧، ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ١٤٩، أبي الحاج: فيض العباب وإفاضة ايضاح الآداب في حركة السعدية إلى قسنطينة والزاب، دراسة واعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، ط ١، بيروت، ص ١٠٦-١٠٧.

(٣) السلاوي: الاستقصا، ج٣، ص ٢٠٢، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٧١، الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٧، كمال أبو مصطفى: دراسات، ص ٢٧٣، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢٠٨، المطوي: السلطنة، ص ٤٢٩، جلويان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ج٢، ص ٢٣٤.

المقاومة حتى اشتد الحصار غايته ووصل أخبار بقدم السلطان أبي عنان بجيوش أخرى. إلى تونس، فخاف الوزير ابن تافراجين صعوبة موقفه، فبادر بالفرار مع بعض رجاله وخدمة إلى مدينة المهدية وتحصن بالمدينة، وترك العاصمة تتهاوى في أيدي المرينيين ووحده السلطان أبو عنان المريني بلاد المغرب تحت سلطانه وقامت له البيعة<sup>(١)</sup> وقامت الخطبة للسلطان المريني على جميع منابر إفريقية ماعدا توزر وسوسه والمهدية الخاضعة تحت نفوذ الوزير الحاجب ابن تافراجين وسرعان ما حدث تمرد في جيش السلطان وأسرع الوزير فارس من ميمون بالانسحاب والعودة إلى المغرب الأقصى<sup>(٢)</sup> ثم تبعه السلطان ابو عنان وحدثت ثورات ضد المرينيين بتونس مما اضطرهم إلى

- Bernard Lugan: op.cit., P. ١٢٨. L.P. Harvey, op.cit., ١١٦-١١٧.

(١) بعدما استولى جيش السلطان أبي عنان بقيادة الوزير فارس بن ميمون على قسنطينة جاء أمراء الأطراف من نفطه وقابس وبايعوا أبي عنان كما أسرع بعض القبائل مثل أولاد مهلهل أمراء بني كعب من سليم وأولاده أبي الليل لمبايعته أيضًا وشجعوه على المتوجه لغزو تونس فما كان من السلطان أبي عنان إلا وأرسل قوات بحرية وبرية اختلت المدينة، وهذا يبين لنا مدى الضعف والانهيار التي وصلت إليه الدولة الحفصية في فترة تعود الوزير ابن تافراجين وسلطانه الضعيف راجع ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٧١، السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ٢٠٢، مقديش: نزهة الأنظار، مج ١، ص ٥٨٢، عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، مج ٧، ص ٣٠، احسان حقي، المغرب العربي، ص ٩٤-٩٥

(٢) حيث قام الوزير المريني فارس بن ميمون بتحريض جنود الجيش المريني في إفريقية وأمرهم بالعودة إلى المغرب الأقصى مما أصاب الحملة المرينية الثانية على تونس بالفشل وعاد السلطان ابو عنان إلى فاس وهناك فيض على وزيره ابن ميمون وقتله وهكذا كانت وكان الوزير. راجع السلاوي: الاستقصا، ج ٣، ص ٢٠٣، الزركشي: المصدر السابق، ص ٢٠٣، الحريري: تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس، ص ١٣٠، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٦١.

الانسحاب التام من إفريقية إلى المغرب الأقصى، ولم يلبث الوزير ابن تافراجين أن عاد إلى تونس وحدد البيعة للسلطان الضعيف أبي اسحاق الحفصي واستأثر الوزير بالحكم<sup>(١)</sup> وهنا يمكننا أن نجزم بدور الوزراء سواء وزير مريني أو وزير حفصي فكلاهما يفضل مصالحه الشخصية عن مصالح الدولة والدفاع عن سلطانه، فيجد هروبا ابن تافراجين من وجه الحملة المرينية وتحليه عند سلطانه والعاصمة، وظل في المهديّة، وكذلك الوزير المريني ابن ميمون والذي شجع جنوده على العودة إلى فاس وترك السلطان ابا عنان يواجه ثورات إفريقية حتى عاد إلى فاس وفشل مشروعه العظيم بتوحيد بلاد المغرب الإسلامي، وتحرك السلطان أبو اسحاق إبراهيم الحفصي بصحبة وزرائه بقيادة الوزير ابن تافراجين على رأس جنش من تونس من أجل استرداد بجاية وقسنطينة من القوات المرينية، وبالفعل استطاع ومعه وزرائه من الاستيلاء على بجاية في شوال سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م ولكنهم فشلوا في الاستيلاء على قسنطينة<sup>(٢)</sup> وقام الوزير ابن تافراجين بتسريح الوزير يحيى بن ميمون وجنوده إلى المغرب الأقصى<sup>(٣)</sup> ثم دخلت العلاقات الحفصية المرينية فترة من الهدوء النسبي حيث دخلت الدولة المرينية في فترة صراعات وتنافس على الحكم السلاطين والوزراء المستبدين بالحكم. حتى فترة حكم السلطان الحفصي

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٨-٩٩، ابن الشماخ: المصدر السابق، ص ١٠٤، محمد الهادي العامري: ص ١١، برنشفيك: المرجع السابق، ج ١، ص ٢١، عاشور بوشامه:

المرجع السابق، ص ٢٠٥

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٩، عاشور بوشامه المرجع السابق، ص ٢٠٨

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ٩٩، ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص ١٥٠

أبو فاس عبد العزيز<sup>(١)</sup> حيث لجأ الأمير الحفصي أبي عبد الله محمد إلى فاس واستقبله السلطان المريني أبو سعيد عنان الثالث ووزراؤه استقبلاً رائعاً لم يعكر جو العلاقات بين الدولتين<sup>(٢)</sup> حيث استقبل السلطان الحفصي ووزراؤه ركب الحج المريني المتوجهة إلى أراضي الحجاز عام ٨٠٠هـ/١٣٩٧م أثناء مروره على العاصمة تونس، أحسن استقبال، وقام الوزراء الحفصيون بتشيعهم إلى طرابلس وحمايتهم بناءً على أوامر السلطان فأكرمهم وشيعوهم إلى مدينة طرابلس<sup>(٣)</sup> وبناءً على ذلك استقبل وزراء السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز وفد مريني من قبل السلطان أبي سعيد المريني سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، يحمل هدية قيمة إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز من أمير توطيد العلاقات بين الدولتين<sup>(٤)</sup> ولكن سرعان ما تحولت تلك العلاقات الطيبة إلى علاقات عداة بسبب تدخل السلطان المريني أبي سعيد عثمان

(١) كان السلطان أبو فارس عبد العزيز من اعظم سلاطين بني حفص حيث استطاع من السيطرة على وزراؤه واعاد للدولة الحفصية هيبتها، حيث وجه قوى وزراؤه إلى خدمة الدولة واستغلها في القضاء على مفاسد الدولة، وصلت دولته أعلى درجات القوى والازدهار، الونشريسي: المعيار، ج١٠، ص٦٠٥، ابن عماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٧، ص٢٢، المقرئزي (تقي الدين بن أبو العباس أحمد): السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دار الكتب، ١٩٧٢، ج٤، ق٢، ص٩٢٣، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص١٤، عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج١، ص١٧٠.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص١١٨-١٢٠، السلاوي: الاستقصا، ج٤، ص٩٠،

السخاوي: الضوء اللامع، م٤، ج٧، ص٢٤٥ مقديش: نزهة الانظار، ج١، ص٥٩١

(٣) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٩٩، الغنيمي: المرجع السابق، م٣، ج٥، ص٣١٥

(٤) ابن القنفذ: الفارسية، ص١٩٩، الغنيمي: المرجع السابق، م٣، ج٥، ص٣١٥

الثالث، حيث أرسل الأمير أبا عبد الله على رأس جيش مريني من أجل السيطرة على تونس<sup>(١)</sup> بناءً على طلب وفد من الأعراب والذين جادوا إلى فاس بعد هزيمتهم من السلطان في وقعة عين الغدر بين تفراوة<sup>(٢)</sup> والحامه<sup>(٣)</sup> وتحرك الأمير عبد الله بن محمد الحفصي حتى وصل إلى أطراف بجاية والقمم إليه الأعراب وعظمت قوته فأمر القوات المرينية بالعودة إلى فاس، وتحرك إلى بجاية واستولى عليها دون مقاومة عام ٨١٠هـ/١٤٠٨م ثم اتجه للقاء السلطان أبي فارس عبدالعزيز ووزراؤه وجيوشه شرقاً<sup>(٤)</sup>.

وعلى الفور أمر السلطان أبو فارس عبدالعزيز ووزراؤه بسرعة التحرك إلى بجاية وبالفعل استولوا عليها وقضوا على حاكمها المنصور وأسروه ولحقوا بالأمير عبد الله وقتلوه، وأمر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز ووزراؤه بجزر رأس عبد الله وأرسلوها إلى فاس على يد من علقها على باب المحروقي

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤، السلاوي: الاستقصا، ص ٩١، مقديش: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٩٥، السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٤٥، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: ج ٢، ص ٥٨، الحريري: تاريخ المغرب الاسلامي والأندلس، ص ١٨٣

(٢) تفراوة: من بلاد الجريد، وتبعد عن مدينة قفصة يوميات وبعض يوم، راجع مجهول: الاستبصار، ص ١٥٧-١٥٨

(٣) الحامه: س مدن كورة قسطنطينه من بلاد الجريد بها حصن يسمى القصر ولها أرباض واسعة راجع الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ١، ص ٢٧٧.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٤، السلاوي: الاستقصا، ج ٤، ص ٩١، مقديش: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٩٥.

عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م وذلك ردًا على التدخل المريني في شئون الحفصيين<sup>(١)</sup> واستولى السلطان أبو فارس عبد العزيز ووزراؤه على تلمسان في جمادي الآخرة عام ٨٢٧هـ/١٤٢٣م وخطب على منابر تلمسان للسلطان أبي فارس عبد العزيز بعد أن أصبحت تلمسان حفصية بقتل وزراؤه المخلصين الشجعان<sup>(٢)</sup>.

ولم ينسى أبو فارس عبد العزيز ما فعله سلطان فاس ووزراؤه من تأليب العرب عليه وعلى الفور تحرك بصحبة وزراؤه وجيوشه إلى فاس، وعندما اقترب من العاصمة المرينية وجد السلطان المريني عبد الحق بعدم قدرتهم على صد هذا الهجوم الحفصي فأرسل إلى السلطان الحفصي ووزراؤه من أجل السلم مع مندوبه هدايا عظيمة فقبلها السلطان الحفصي<sup>(٣)</sup> أعلن سلطان فاس بتبعيته للسلطان الحفصي ووزراؤه بأن البلاد بلادهم وجميع ما يأمر به تحت التنفيذ والطاعة<sup>(٤)</sup> وأصبحت جميع بلاد المغرب تحت السيطرة الحفصية

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٤، ابن الخطيب: نفاضة الجراب، ج ٢، ص ٢٦٥، السلاوي: الاستقصا، ج ٤، ص ٩١، مقديش: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٩٦، السخاوي: الضوء اللامع، م ٤، ج ٧، ص ٢٤٥.

(٢) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٥، المقرئ: السلوك ج ٤، ق ٢، ص ٦٦٨-٦٦٩، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٥٩، محمود السيد: تاريخ دول المغرب العربي، ص ١٥٩.

(٣) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٦، عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص ٢١٥، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٥٩، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢١٣.

(٤) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٢٦، الملي تاريخ الجزائر، ص ٧٨٣، الغنيمي: المرجع السابق، م ٣، ج ٥، ص ٣١٦.

وخطب على منابر جميع المساجد في تونس وتلمسان وفاس للسلطان الحفصي أبي فارس عبد العزيز بفضل سياسته ودور وزرائه الفعال<sup>(١)</sup>.

وأرسل السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز حامية من سبعائة فارس بقيادة أبي عامر عام ٨٢٩هـ/١٤٢٥م لمساعدة بني مرين ضد الاحتلال البرتغالي لمساعدة المرينيين<sup>(٢)</sup> أرسل وزير البحر على رأس الاسطول الحفصي من أجل تخليص سينية من الاحتلال البرتغالي وكان وزير البحر الحفصي هو أبي عبدالله محمد بن الأحمر، ولكن لم تستطع القوات الحفصية المرينية من أحكام الحصار على القوات البرتغالية في سينية وانتهى هذا الحصار بالفشل<sup>(٣)</sup> ظل المرينيون يؤكدون على تبعيتهم للدولة الحفصية حيث أرسل الوزير علي بن يوسف العطاس وزير السلطان عبد الحق المريني هدية قيمة بوفد رفيع المستوى حيث كان في مقدمته القصبة التبرني، واستقبل وزراء الدولة الحفصية والسلطان أبو فارس عبد العزيز لهم حيث أجرى لهم الارزاق حتى دخلوا عليه وذلك في عام ٨٦٢هـ/١٤٥٧م وأمر السلطان الحفصي أبو فارس عبد العزيز وزرائه بارسال هدايا لسلطان فارس وسلطان تلمسان، حيث حمل وفد

(١) الزركشي: المصدر السابق،، ص ١٢٦، المقرئزي: السلوك م ٤، ق ٢، ص ٩٢٣، ابن أباس: بدائع الزهور، ج ٢، ص ١٥٧، الزركشي: الاعلام، م ٤، ص ١٤، مبارك الميلي تاريخ الجزائر، ص ٧٥٩، يوسف فهمي الجزائر لي: الجزائر أرض البطولة، الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والقيم الاجتماعية، الإسكندرية، ١٩٦٤، ص ٣٠٠

(٢) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج ٢، ص ٢٦١، عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص ٢١٧، رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢١٤

(٣) عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص ٢١٨

فاس هدية سلطانهم، بينما أرسل وفدًا من قبله إلى صاحب تلمسان لهديته<sup>(١)</sup> ثم تحالفت الجيوش المغربية حفصية وزيانية ومرينية) لحصار البرتغاليين في سيته مكانهم أيضًا لم يستطيعوا طردهم بسبب الامدادات القشتالية للبرتغاليين<sup>(٢)</sup>. واستمرت تبعية الدولة المرينية تابعة للسلطان الحفصي حتى انهارت وسقطت بمقابل آخر سلاطينها السلطان عبد الحق المريني يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان عام ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م ويستولى الوطاسيون على السلطة وتبدأ البلاد المغربية مرحلة جديدة وهي المرحلة الوطاسية<sup>(٣)</sup> وكانت محاولة أبى فارس عبدالعزيز هي المحاولة الأخيرة لتوحيد بلاد المغرب الاسلامية مثلما فعل الموحدون<sup>(٤)</sup>.

خلاصة القول كان للوزراء الحفصيين دور كبير في العلاقات مع الدلة المرينية فهناك من الوزراء من ساهم في اقامة علاقات طيبة بين الدولتين ووزراء حفصيين كانت لهم الكلمة في المراسلات مع السلاطين بني مرين في عهد نفوذ وسيطرة الوزراء وكانوا على مستوى المسؤولية في الحروب الخارجية في عهد السلاطين الأقوياء حيث استطاعوا فرض السيطرة الحقيقية على جميع بلاد المغرب وهناك من الوزراء الحفصيين من كانوا خائنين بتشجيع القوى الخارجية للسيطرة على الدولة الحفصية من أجل الفوز بنفوذ وسلطات كبيرة

(١) الزركشي: المصدر السابق، ص ١٥٠، عاشور بوشامه، المرجع السابق، ص ٢٢١-٢٢٢

(٢) عاشور بوشامه: المرجع السابق، ص ٢٢٠، الغنيمي: المرجع السابق، ص ٣، ج ٥، ص ٨٠،

رشا سالم: المرجع السابق، ص ٢١٥

(٣) السلاوي: الاستقصا، ج ٤، ص ١٠٠، رشا سالم، المرجع السابق، ص ٢١٥

(٤) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص ٢٨

والمصلحة الشخصية في ظل تحبط وانهايار سياسي حفصي.